

استعراض البيان في قصة نوح عليه السلام

إعداد فضيلة الشيخ صالح التركي حفظه الله

قصة نوح عليه السلام تمثل أنموذجاً للقصة في القرآن الكريم ، فقد كثر الكلام عليها وعلى غيرها ، حيث زعم المبطلون أن القرآن يكرر الأحداث والقصص وأنه يعيد القصة مرة تلو المرة ، ولكن صدق المتنبي حين قال :

وكم من عائب قولاً صحيحاً

وآفته من الفهم السقيم

إن المتأمل لقصة نوح عليه السلام ليجد عجباً إزاء البناء القصصي الذي يزداد مع مرور الأيام والسنين إثارة وتشويق ، ويرى أحداث هذه القصة تنسج خيوطها وتكتمل وقائعها وترسم لنا رسماً مذهلاً يشكل لوحة فنية ولكنها بلسان عربي مبين .

جاءت قصة نوح عليه السلام في مواطن كثيرة من كتاب الله تعالى وسأقف على القصة في سورة :

الأعراف ، يونس ، هود ، الأنبياء ، المؤمنون ، الشعراء ، العنكبوت ، الصافات ، القمر ، نوح مع عدم إهمال بقية المواطن بإذن الله تعالى .

بين آدم و نوح عليهما السلام عشرة قرون كلها على التوحيد ، ولم يقع الشرك حينئذ ، وهذا معنى قوله تعالى { كان الناس أمة واحدة } .

فلما وقع الشرك في الأرض وانحرفت البشرية عن التوحيد أرسل الله تعالى أعلام الرسل لتصحيح مسار البشرية ، وأولهم نوح عليه السلام .

النبى نوح عليه السلام هو أول نبى بعث بعد إدريس ، وكان نجاراً ، قال ابن عباس : بعث وهو ابن أربعين سنة . وقيل : بعث وهو ابن مائتين وخمسين سنة كما عند البغوي . جاء عند البغوي وابن كثير وغيرهما : قال ابن عباس : سمي نوحاً لكثرة ما نوح على نفسه .

أول من أحدث الشرك في الأرض هم قوم نوح لما عبدوا الأصنام التي جاء ذكرها في سورة نوح ، قال الله جلّ في علاه : { وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا } .

قال البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما : هذه أسماء رجال صالحون من قوم نوح ، فلما هلكوا ؛ أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم ؛ عبدت .

قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد :

✓ أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل .

✓ وأما سواع فكانت لهذيل .

- ✓ وأما **يغوث** فكانت لمراد ، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ .
- ✓ وأما **يعوق** فكانت لهمدان .
- ✓ وأما **نسر** فكانت لحمير ، لآل ذي الكلاع .

ويرى أهل السير والتأريخ أن مسرح الأحداث لقوم **نوح** هي أرض **العراق** على وجه العموم ، كما جاء ذلك في البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله تعالى ، وعارض هذا القول آخرون ، والجزم بهذه المسألة يحتاج دليل قطعي ! تلك مقدمة واستهلال سريع لقصة سيدنا **نوح** عليه السلام الذي يعده أهل التأريخ هو **أبو البشر الثاني** بعد سيدنا **آدم** عليه السلام والذي تدعو له سائر الأمم { **سلامٌ على نوحٍ في العالمين** }

قبل استعراض هذه الوقفات لابد أن نبين أن هذه الوقفات على **ضريين** :

١. وقفات بيانية ذات علاقة كبيرة بأحداث القصة وبنائها وتسلسلها الزمني ، والصراع بين **نوح** عليه السلام وبين قومه .
٢. وقفات بيانية مشتركة بين القصة وبين آيات آخر من القرآن الكريم .

جاء **أول** ذكر **نوح** عليه السلام على سبيل العرض القصصي في **الأعراف** كما جاء غيره من الأنبياء ، جاءوا لأقوامهم لتصحيح الانحراف العقدي الذي ولغت فيه البشرية بعد ما زين لهم الشيطان وسول لهم جاءت طلائع الإيمان من الله لتنقذ البشرية من حالك الظلمات إلى البصيرة.

فاستهل الله القصة بقوله تعالى { **لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه** }

فاللام في { **لقد أرسلنا** } هي **للابتداء** كما قال أهل البيان منهم الكرمانى وابن الزبير الغرناطي ونظيره { **وللدار الآخرة خير** } وفيه إشارة إلى بداية هذا المشوار الطويل **لنوح** مع قومه الحافل بالأحداث والكفاح .

وبما أنه **أول** لقاء **نوح** مع قومه فقد اتسمت دعوته في بادئ الأمر بالعبارات اللطيفة البعيدة عن الشدة أو

الهجوم لكونه **أول** لقاء بهم ، فقال { **يا قوم اعبدوا الله مالكم من إلهٍ غيره** } فقال لهم { **يا قوم** } تحببياً وتودداً وتلطفاً معهم في حسن الدعوة إلى الله.

وهكذا ينبغي للداعية في بداية أمره يمثل أمر الله تعالى { **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** }

ويطبقه في منهجه الدعوي ويمثله قبل ذلك في حياته اليومية فهو مسلك الأنبياء وطريقهم وسنتهم في الدعوة إلى الله تعالى.

{ **اعبدوا الله مالكم من إلهٍ غيره** } جاءت **تسع** مرات ، هذا هو شعار التوحيد والدعوة إلى الله الذي رفعه جميع

الأنبياء لأقوامهم وأشهروه وجاهدوا عليه ومن أجله سلت السيوف وجهزت الجيوش وضحي بالنفوس رخيصة في سبيل الله ومن أجل هذا أيضاً أرسلت الرسل وأنزلت الكتب.

في **سورة يونس** قال تعالى { **واتل عليهم نبأ نوح** } وهذا مشهد آخر **لنوح** عليه السلام مع قومه وصورة أخرى من صور هذه الدعوة ، فأمر الله نبيه بذكر نبأ **نوح** لقومه فقال { **واتل** }

أصل التلاوة إتباع الشيء الشيء، يقال تلاه إذا تبعه كما قال تعالى { **والقمر إذا تلاها** } .

وكما قال تعالى أيضاً { **أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهدٌ منه** } فتكون التلاوة في الكلمات يتبع بعضها بعضاً ،

على عكس القراءة التي تكون للكلمة الواحدة والتي لا تلزم هذا المعنى فلما جاء ذكر نوح للمرة الثانية كان بمثابة التلاوة للمرة الأولى في **الأعراف**.

﴿ فقله تعالى { و اتل عليهم نبأ نوح } وهذا مع ما فيه من تلوين الخطاب واستعراض للأسلوب وتبين عجز أهل اللغة وتحديهم ، فيه أيضا تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم مع ما يلاقيه من قومه في سبيل الدعوة وتسليته .

﴿ وفي قوله تعالى { نبأ نوح } إشارة وإلماح لأمر نوح أنه أخذ مرحلة جديدة ومنعطفاً آخر وأنه عظم شأنه وتفاقم أمره وشاع ذكره في قومه ولم يعد خبراً بل صار (نبأ) والنبأ عند الراغب الأصفهاني : أمر ذو فائدة عظيمة ، أي هو الأمر المهم العظيم ، وهو نقيض الخبر تماماً .

﴿ أما قوله تعالى في **سورة هود** { ولقد أرسلنا نوحاً } فقد جاءت بداية القصة بالواو ، فالواو في الآية **واو العطف** عند النحاة ، عطفاً على ذكر موسى عليه السلام في بداية **هود** كما قال تعالى { ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة } وذكر الأحزاب كذلك { ومن يكفر به من الأحزاب }

﴿ وفي **سورة الأنبياء** جاءت القصة بصورة مختزلة موجزة مختصرة دون تفصيل وعرض للحدث { ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له } على غرار ما جاء من ذكر كثير من الأنبياء في السورة ، وهذا ضرب من ضروب البيان العربي .

﴿ في **المؤمنون** استهل الله القصة كما كانت عليه في **هود** بدعوة التوحيد الخالصة { ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله } والواو في { ولقد } تفيد كثرة تردد نوح عليه السلام لقومه غير أن الفاصلة اختلفت في السياقين ولنا معها وقفة في حينها .

﴿ في **الشعراء** بين الله في مطلع القصة مسألة لم تتبين في غيرها فقال تعالى { كذبت قوم نوح المرسلين } وهي أن قوم نوح كذبوا عامة الرسل ومعلوم أنهم لم يرسل لهم إلا نوحاً بيد أن دعوة الرسل واحدة ، فمن كذب رسولاً فقد كذب الجميع وهذا فيه إشارة إلى التكذيب المطلق منهم.

كذلك في **الشعراء** لا نرى نوحاً عليه السلام يأمرهم بالعبادة كما في **الأعراف** و**هود**، بل تعداه إلى مرحلة أخرى وهي الأمر بالتقوى والطاعة المطلقة والتأكيد بقوله { فاتقوا الله وأطيعون } ولاشك أن هذا مطلب عزيز على أصحاب الشهوات والهوى لهذا لم يسلموا له بشيء.

﴿ أما في **العنكبوت** فليس ثمة تكرار كما يدعيه المبطلون فقد جاء ذكر نوح عليه السلام لتبيين المدة والحقبة التي قضاها نوح يدعي قومه فيها ، فهنا القصة بينت وجهاً من وجوه سيرة نوح عليه السلام مع قومه { ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فليث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً }

جاء عند ابن كثير عن ابن عباس قال : بعث نوح وهو لأربعين سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الطوفان ستين عاماً ، حتى كثر الناس وفشوا . وهذا تصريح من ابن عباس رضي الله عنهما للبت نوح عليه السلام في قومه.

﴿ في **الصفات** جاء النداء بصورة مغايرة مختلفة عما كان عليه الوضع في السابق ، فيبدو أن الحال وصل إلى درجة لا يمكن معها الانتظار ويظهر هذا ونلمحه في قوله تعالى { وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ }

فجاء النداء مسنداً إلى ضمير التعظيم { نادانا } ولم يكن النداء بهذه الصورة في الأنبياء ، وهذا فيه دلالة على وصول الموقف إلى منعطف خطير في سير الدعوة ، ولهذا لما عظم هذا النداء عند الله ، قال الله على سبيل المدح { فلنعم المجيبون } فالنداء عظيم والإجابة عظيمة .

﴿ في القمر ﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نوح فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ { هذا التكذيب صادر من القوم بصيغة الماضي بمعنى أنه تكذيب متحقق وواقع منذ زمن فلم يعد تكذيب جديد منهم } فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا { نوحاً عليه السلام بنسبته إلى الله مع تشريفه بالرسالة .

{ وقالوا } زيادة على التكذيب { مجنون } أي : فهذا الذي يصدر منه من الخوارق أمر من الجن .
وقوله { وَازْدَجَرَ } أي (انتهره وزجره بالسب والتخويف)
هذا تناول منهم على رسل الله تعالى كما قال ابن كثير وغيره .

كل هذه الصور البيانية المتباينة في أسلوب القصة وتركيبها وفي نظامها الهيكلي وفي هيكلها النطاقي :

1. استعراض للبلاغة والفصاحة والبيان لأرباب هذا الفن الذي تلاعبوا بالألفاظ والكلمات والأساليب وتربعوا على عرش اللغة العربية وأمسكوا بناصية البيان وزمام الفصاحة. فهذا نوع من التحدي الذي أعجز الله به أهل البيان { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَضَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }
2. كذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في دعوته بمكة بما يلاقه من قومه .
فقصص الأنبياء ترويح له وتعزيز لنفسيته صلى الله عليه وسلم وتجديد لنشاطه في الدعوة ، وأن ما لاقه نبينا صلى الله عليه وسلم قد لاقى مثله الرسل من أقوامهم
{ ما يقال لَكَ إِلَّا ما قد قيلَ لِلرَّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنْ رَبِّكَ لَدُوٌّ مَغْفِرَةٌ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ }
3. كذلك من أغراض هذه القصة وأهدافها ترسيخ عقيدة التوحيد في المجتمع المكي بخاصة الذي كان يمجج بعباد الأصنام { وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ }
كل ذلك لإقامة الحجة عليهم وإنذارهم قبل العذاب { وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ما حَوْلَكُمْ مِّنَ الْأَمْمَةِ .. }

﴿ دعوة نوح عليه السلام صدرت بقوله تعالى { اعبدوا الله مالكم من إله غيره }
جاءت على لسان جميع الأنبياء في دعوتهم فكل يدعو إلى تحقيق التوحيد ونبذ ما سواه من معبود
كما قال تعالى { وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون }
﴿ فافتتاح الأمر بعباد الله تعالى { اعبدوا الله } في الأعراف والمؤمنون لا سؤال عليه ولا غرابة فيه ؛ لأنه :

1. أول ما يطلب من الخلق

2. ولأنه هو حكمة إرسال الرسل للعباد

ولكن ثمة تساؤل ؟ !

لماذا قال الجميع من الأنبياء { اعبدوا الله } ولم يقولوا { اعبدوا الرب } أو نحوها ؟ !

قبل أن نعرف السبب لابد أن نعرف الفرق بين لفظي الله والرب

يقول ابن منظور في اللسان إن الله أصله من أله يأله إذا عبد وأحب

وقال : كل ما اتخذ من دونه معبوداً فهو إله وجمعها آلهة

قال الليث : بلغنا أن اسم الله الأكبر هو الله وهو المحبوب الباقي .

١. هو المعبود للخلق أجمعين
٢. وهو الاسم الذي تتبعه جميع أسماء الله وصفاته
٣. وهذا الاسم هو أكثر أسماء الله تردداً في القرآن الكريم
٤. وقد بدأت أعظم آية في كتاب الله به كما قال تعالى { الله لا إله إلا هو الحي القيوم }
٥. وهو الاسم الذي يدين به الكفار .
٦. ولفظ الجلالة (الله) مناسب للعبودية ، لأنه مأخوذ من لفظ الإله أي المعبود ، وقد اقترنت العبادة باسمه أكثر من خمسين مرة في القرآن كقوله تعالى { أمرت أن أعبد الله }
٧. وهو الاسم الذي انفرد به الله تعالى بالتسمية عن بقية الإلهة المزعومة .

أما (الرب) فهو المربي الهادي للأخلاق الحميد الفاضلة القائم بالتربية المرشد على أكمل وجه ، لهذا اقترنت كلمة الرب في القرآن مع الهداية أكثر من عشرين مرة كقوله تعالى :

{ أولئك على هدى من ربهم } { قل إنني هادي ربي } { يهديهم ربهم بإيمانهم }

إذن يتبين من هذا أن الأنبياء عندما يقولون لأقوامهم { اعبدوا الله } هو الأنسب ؛ لأنهم :

١. قد أوغلوا في الشرك ، أي اعبدوا المعبود الحق الذي يجب أن تصرف له جميع أنواع العبادة ، المستحق لجميع أنواع المحامد على الوجه الأكمل ولا يتناسب أن يقولوا { اعبدوا ربكم }
٢. ثم إن هذه الآيات جميعها نزلت بمكة على النبي عليه الصلاة والسلام في بداية الدعوة فهي تتناسب والمجتمع الذي نزلت به ، إذ هو مجتمع يموج بعبادة الأصنام ولا يعترف بتوحيد الألوهية بل صرف جميع أنواع العبادة لغير الله تعالى فكان المناسب { اعبدوا الله } لمناسبة الحال .

نعم هناك آيتان في كتاب الله يقول الله تعالى فيهما :

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ }

فلماذا جاء التعبير بقوله تعالى { اعبدوا ربكم } ؟

١. أما آية البقرة (اعْبُدُوا رَبَّكُمُ)

✓ فبداية هذه الآية نزلت بالمدينة ومعلوم أن القرآن المدني قرآن تعليم تربوي فأكثر التشريعات والتعليمات والأحكام نزلت بالمدينة على مجتمع غالبية من الصحابة ويضم إلى هذا أشتاتا من المنافقين واليهود فلما خاطبهم بهذا القول { اعبدوا ربكم } كأنه يقول لهم : اعبدوا الذي رباكم وهداكم وعلمكم وأنعم عليكم بتباع الرسول عليه الصلاة والسلام فهو خير معلم للبشرية وخير معلم حيث علمه الله تعالى { وعلمك ما لم تكن تعلم } وأدبه كما قال عليه الصلاة والسلام (أدبني ربي فأحسن تأديبي)

ولهذا يكثر القرآن استعمال { الرب } إذا وجه الخطاب للأنبياء

والقرآن حافل بكثير الأمثلة كقوله تعالى { وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }

{ واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار } { الحق من ربك فلا تكن من الممترين } { إنه ربي أحسن مثواي } .

✓ ومن نافلة القول أن أقول أن هذه الآية الكريمة جاءت في بداية سورة البقرة التي هي افتتاحية القرآن فجاء الخطاب فيها { اعبدوا ربكم } متلائماً مع { يا أيها الناس } والناس من ناس ينوس أي يدب ويسعى وأصل النوس التحرك والاضطراب والظهور كما يقول أهل اللغة وهذا عام.

٢. أما آية الحج فهي الأخرى آية مدنية صدرها الله سبحانه وتعالى بقوله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } فهو نداء خاص بالمؤمنين فناسب أن يأتي بعدها (وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ) الذي رباكم وعلمكم وهداكم وتولاكم بنعمه وآلاءه ... ولعل هذا البيان كافٍ .

{ إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم }

{ إني } للتوكيد على أمر حاصل وواقع لا محالة ، فالأنبياء يستمدون علمهم من الله تعالى عن طريق الوحي والفعل { أخاف } قال ابن عاشور في التحرير: بني نظم الكلام على خوف المتكلم عليهم ، دلالة على محض النصح لهم وحرصه على سلامتهم .

وأما قوله تعالى { عليكم } فلم تأت إلا في الأعراف وهود أي في بداية الدعوة حرص عليهم وشفقة ورحمة واحتفاء بهم . أما في غيرها من القصص في القرآن لنوح فلم تأت ؛ لأنه ظهر من قومه المكابرة والعناد والتعالي على المؤمنين وعلى نوح كما في سورة المؤمنون وغيرها.

جاءت الفاصلة للآية بقوله تعالى { عذاب يوم عظيم } فوصف العذاب بأنه { عظيم }

أولاً: العظيم في اللغة الذي ليس بعده شيء فهو النهاية في الوصف ، لذا لا يجوز لأحد أن يتصف بالعظمة فالعظيم هو الله تعالى كما قال في آية الكرسي { وهو العلي العظيم } هذا من جهة المعنى .

من ناحية صوتية لكلمة { العظيم } نجد أنها تتناسب مع معناها ، فحرف العين له صفة الجهر كما هو معلوم من صفات الحروف ، والظاء في الكلمة له صفة الاستعلاء والجهر في النطق . فالمعنى والنطق فيه فخامة إذن هذه الكلمة معناها يتلاءم مع صوتها.

وهذا شأن اللغة العربية كلها فهناك تلازم بين الصوت والمعنى

فصناع الكلام وهم العرب في عصر اللغة العربية الذهبية صنعوها على هذا الميزان الدقيق !

وبعد أن عرفنا معنى { العظيم } ما علاقة الآية بهذه الفاصلة وما هو الرابط بينهما ؟

١. نوح عليه السلام لما جاء إلى قومه لأول مرة طلب منهم طلباً عظيماً وهو قوله { اعبدوا } وهو فعل أمر يدل على الطلب المحض إلى قوم تغلغل الشرك في نفوسهم واستقرت عقيدتهم على عبادة الأصنام فلما دعاهم نوح عليه السلام لهذا الأمر العظيم ، بالمقابل حذرهم من عذاب عظيم .
٢. دعوة نوح عليه السلام { اعبدوا الله } كان بمثابة إحداث هزة عظيمة في نفوس أولئك القوم فمن ذا الذي يرضى بهذا الطلب ويدعن له ويسلم لا سيما وأن الطلب غالباً يكون ثقيلًا على النفوس البشرية فضلاً أن يكون طلباً لتغيير العقيدة فهذا من أشباه المستحيل .

وحال قوم نوح كحال :

١. أهل مكة لما جاءهم من النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا { أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب }
٢. و عاد قوم هود يقولون لنبيهم { إنا لنراك في سفاهة }
٣. وقوم صالح يقولون له { وإنا لفي شك مما تدعونا إليه مريب }

إذن أنت ترى أن هذه الدعوة ردت بالكفر والعناد والاستكبار

٤. وكما قال فرعون لموسى { قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون } لما دعي للتوحيد .
ولهذا يقول علماء النفس : من أصعب الأشياء نقل الإنسان من عقيدة لأخرى .

﴿ في سورة يونس جاءت الفاصلة بقوله تعالى { عاقبة المنذرين }

والمنذر هو الذي جاءه البلاغ وأنذر من قبل رسل الله ، وهذا ما كان لقوم نوح من نوح عليه السلام في سياق سورة يونس إذ يقول الله حكاية عن الحال { إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله } وهذا بلاغ وإنذار .

﴿ أما قوله تعالى في سورة هود : { إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم }

فقد وصف العذاب بأنه { أليم }

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: والأليم هو الموجع ، ومعناه : ولهم عذاب مؤلم ، بصرف مؤلم إلى أليم .
ومثله { بديع السموات والأرض } بديع : بمعنى مبدع .

﴿ في سورة المؤمنون جاءت الفاصلة { أفلا تتقون }

والأمر بالتقوى لا يأتي إلا بعد التوضيح لحدود الله والترغيب والترهيب والإنذار وهذا سبق في أول الدعوة هذه الفاصلة هي لون من ألوان الدعوة التي سلكها نوح مع قومه ؛ ذلك أن النصح تتابع من نوح عليه السلام لقومه يتبين من هذا أن نوحا عليه السلام جرب مع قومه طرائق مختلفة في نصحه ودعوته ، وتلون معهم في الخطاب ، وبذل ما في وسعه من النصح والتوجيه في هذا العهد الممتد الطويل

ألا ترى إلى قوله تعالى { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا }

وصفوة الكلام من خلال هذا العرض لهذه الفاصلة يتضح أن :

١. فاصلة قصة الأعراف { عظيم } هي الأشد ؛ لأن الطلب كان صريحاً مباشراً بالأمر بالعبادة { اعبدوا الله }
٢. في حين أن في سورة هود جاء الطلب مفسراً { أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم }

﴿ قال الملائكة من قومه إنا لنراك في ضلالٍ مبينٍ {

فالقائل هنا في سورة الأعراف الملائكة كلهم على وجه العموم دون استثناء ، وهذا يدل على أن موطن الأعراف يمثل بداية دعوة نوح عليه السلام { قال الملائكة من قومه } فالنفور والتعجب والدهشة والاستغراب صدر من الجميع .

عظمت الدعوة في نفوس قوم نوح بدلالة ما جاء في **سورة يونس** { يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله } فتأمل معي { كبر عليكم } فهم يرون أن ما جاء به نوح عليه السلام كبيراً ومما يعضد هذا أيضاً ويشد منه وينصره أن القائلين في **الأعراف** هم المملأ على وجه العموم .

{ قال المملأ من قومه .. } وقفة حول هذه الكلمة :

✓ من هم المملأ ؟ لماذا سمو مملأ !

✓ ولماذا أول من يتصدى لدعوة الرسل هم المملأ ؟

المملأ : هم أشرف القوم وعليته وأعيان البلد وأسياد المجتمع .

قال أهل العربية : سمووا مملأ ؛ لأنهم امتلؤا مما احتاجوا له في الدنيا فهم لا يلتفتون لهموم الدنيا إطلاقاً لا من مأكلاً ولا من مشرب ولا غيره .

والمتمأمل لدعوة الرسل يجد أن أول من يتصدى لها هم المملأ ، لماذا ؟

١. لأن دعوة الرسل تبعد نفوذ المملأ وتذهب بمصالحهم الجائرة

٢. وعلاوة على هذا هي قائمة على مساواة الناس ومحاربة الطبقة وهذا أمر شاق على نفوس المملأ

وبالتالي دعوات الرسل لا تجد قبولاً لدى المملأ .

{ إنا لنراك في ضلال مبين }

هذا القول ناشئ من عقيدة راسخة متأصلة في الشرك بالله أي نراك في وسط الضلال وأكدوا قولهم هذا بمؤكدات منها :

١. (إنا)

٢. واللام في { لنراك }

٣. ووصفوا هذا الضلال بأنه { مبين } أي واضح لا لبس فيه ولا مرية وهي صيغة مبالغة على وزن فعيل .

يتبين مما ذكرت في تفسير قصة نوح عليه السلام أنه لا تعارض بين ألفاظ هذه القصة

وأن الله سبحانه وتعالى يكشف لنا في كل مشهد من هذه المشاهد وجهاً من وجوه تلك القصة

وصورة من صورها ، وموقف من مواقفها ، كل ذلك في عرض بياني مشوق .

{ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه }

من إشارات هذه الآية الكريمة كثرة التردد من نوح عليه السلام ، فقد جرب معهم شتى الوسائل والسبل الإرشادية غير أن القوم زادوا عتواً وجبروتاً وعناداً ، بل وخاطبوا نوحاً { لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين }

{ إني لكم نذير }

والنذير صيغة مبالغة من أنذر ينذر إنذار والإنذار يحصل عند فعل القبيح المكروه الذي تنكره العقول والفطر

السليمة وهذا فيه نوع من الهجوم عليهم ؛ لأنه ظهر منهم ما لا يليق فكان هذا الإنذار ، كذلك أخذت الدعوة بهذا الأسلوب منحي آخر .

ثم تأمل أخي معي قول نوح عليه السلام { **إني لكم نذير** } فحصر وقصر النذارة عليهم فهو خاص بهم دون غيرهم فشان نوح عليه السلام هو شأن جميع الأنبياء في دعوتهم ورسالتهم ، إذ أن كل نبي يرسل إلى قومه خاصة .

فقال الله تعالى عن نوح عليه السلام { **إني لكم نذير مبين** } فقدم الجار والمجرور { **لكم** } على { **نذير** } وهو خبر إن للحصر والقصر فرسالة نوح عليه السلام مقصورة ومحصورة على قومه دون غيرهم ، فلو قال نوح عليه السلام { **إني نذير لكم** } لكان نذير لهم ولغيرهم ولكن هذا لم يحصل .

أما رسولنا عليه الصلاة والسلام فإنه بعث للناس عامة ولهذا قال الله تعالى عنه

{ **إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** } ألا ترى إلى قوله الله تعالى { **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** }

وقال هو صلى الله عليه وسلم كما في حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي إلى أن قال وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة . رواه البخاري

في حين يقول تعالى في نبينا عليه الصلاة والسلام مخاطباً قومه { **إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد** }

فاختلفت الصياغة والهيكلة للجملة عن جملة نوح عليه السلام

وعليه يختلف المعنى تبعاً لهذا الاختلاف فالقرآن راعي سنن اللغة العربية وطرائقها فلم يخل بشيء من قواعدها .

فقال الله تعالى { **إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ** }

فمن خلال الآية بين الله تعالى أن رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام للناس عامة

فجاء بالجملة على وضعها الطبيعي مبتدأ { **هو** } ثم تلاه الخبر { **نذير** } ثم جاء الجار والمجرور تبعاً { **لكم** }

فهو نذير لأهل مكة ولغيرهم .

أما قول الله تعالى { **قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين** }

فقد تقدم الجار والمجرور { **لكم** } على { **نذير** } مما يوهم أن الآية حصرت وقصرت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم

غير أن المتأمل للآية يجد أن :

١. الله تعالى يخاطب الناس عامة دون استثناء { **يا أيها الناس** } وقد قال الله تعالى

{ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** }

٢. علاوة على هذا ، الآية مدنية وهي في سورة الحج وقد دخل الناس أفواجاً في دين الله عند أداء هذه الشعيرة

بهذا لا تعارض بين الآيات التي تحدثت عن عموم نذارة النبي صلى الله عليه وسلم .

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام أن يتلو نبأ نوح على قومه تذكيراً وعظة لنصرة الله

لعباده الصالحين وهذه التلاوة جاءت بعد ذكر خبر نوح في الأعراف ، ففي يونس نلمح من قول نوح عليه السلام

{ **إن كان كبر عليكم مقامي** } { **وتذكيري** } أنهم في أشد الضيق منه .

فلبث نوح عليه السلام تذكيره بالله تعالى مما عظم على قومه وشق عليهم

{ **كبر** } قال الواحدي : أي عظم وشق عليكم مكثي ولبثي فيكم

{ **مقامي** } من المقام والإقامة وطول المكث ، كما قال الله تعالى

{ **ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً** }

في هذا المشهد صار فيه نوع من التحدي والرهان بين نوح عليه السلام وقومه فهو يريد أن يثبت لهم أن هذه المعبودات والتي اتخذت من دون الله مجرد أسماء وهي لا تضر ولا تنفع ولا تقدم ولا تأخر في الحياة بل هي الضرر كل الضرر والخسران كل الخسران والبوار كل البوار.

﴿ فنوح عليه السلام يراهن قومه ويتحداهم على هذه المسألة { فعلى الله توكلت } وقال { فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقبضوا إليّ ولا تنظرون } هذا التحدي جاء على لسان غير واحد من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم دليلاً على صدق ما يدعون إليه .

﴿ فهذا هود عليه السلام يتحدّى قومه { فكيدوني جميعاً ثم لا تُنظرون } ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول لقومه { قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ } { إِنَّ وِلْيَةَ اللَّهِ الّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصّٰلِحِينَ }

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذه الوقفة

لماذا قال نوح عليه السلام { فعلى الله توكلت } لماذا لم يقل { توكلت على الله } ؟
بعض أهل التفسير رحمهم الله تعالى يرون أن مثل هذه الأساليب نوع من التفنن في التركيبات البيانية وهذا الكلام لا يستقيم مع بلاغة كتاب الله تعالى .

﴿ كتاب الله نزل في العصر الذهبي للعربية إذ لو كان هذا نوع من التفنن والمزاوجة كما زعم بعضهم لاعترض على كتاب الله تعالى صناع الكلام وأساتذة البيان غير أن هذا لم يحدث من الكفار اتجاه القرآن فلم يسجل التأريخ أدنى اعتراض منهم على هذه المعجزة الخالدة .

وعليه أقول : إن التعبير القرآني مقصود لذاته ، فالأسلوب القرآني له شخصيته وكيانه اللغوي يعرف هذا كل من أوتي حظاً من علم العربية { إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون } فلم ينكر العرب أي أسلوب في كتاب الله تعالى وهذا أبسط رد على من طعن في القرآن الكريم

فقوله تعالى { فعلى الله توكلت } هنا تقدم الجار والمجرور { فعلى الله } على العامل وهو الفعل { توكلت } وهذا خلاف الأصل ، فالأصل أن يأتي العامل فالمعمول بعده ، وهذا الأسلوب في آية يونس يفيد عند البلاغيين الحصر والقصر فالتوكل هنا مقصور على الله سبحانه فحسب .

ومثل هذا التركيب الأنف لا نجده إلا في :

١. المواجهات الشديدة والمواقف العصبية بين الرسل وأقوامهم وبين المؤمنين والكافرين

٢. أو في المصائب التي تنزل بأهل الإيمان

إذ أن الملجأ الوحيد الذي يركن له في هذه المواقف هو الله سبحانه ، ولذلك جاء حصر التوكل على الله .

ومن أمثلة ذلك ، قوله تعالى { وإن يخذلكم فمّن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون } { فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين } { قل لئن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون } { والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون } { إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون }

فأنت أخي ترى أنه استخدم أسلوب **الحصر والقصر عند الصراع والمواجهات** ، فالمؤمنون يفوضون أمورهم إلى الله ويركنون إليه فهو خير معين وهو نعم المولى ونعم النصير.

وإذا كان السياق **دعوة وتعليم** من الله تعالى لنبيه الكريم فعندها لا نجد مثل ذلك التركيب ، بل نجد تقدم العامل وهو الفعل على معموله وهو الجار والمجرور وهذا هو الأصل في بناء الجملة
{ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** } { **وتوكل على الحي الذي لا يموت** }

من أسرار كتاب الله تعالى في إيراد هذه القصة بعدة مشاهد ما هو إلا تجول يتجول بنا القرآن لإلقاء الضوء وتسليطه في كشفه لمعالم القصة مع كل اتجاه ومع كل جانب وناحية
وأن هذه مجموعة من اللقطات تبين لنا عدة وجوه من ما دار في أنحاء هذه القصة وأرجائها.

﴿ **المتأمل لقصة نوح عليه السلام في سورة يونس** يجد أمرًا لافتًا وهو أن الكلام جاء من **نوح** عليه السلام فحسب { **قال يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله ...** } وأما قومه فلزموا الصمت ، وهذا وجه من وجوه القصة وجانب من جوانبها.

﴿ **ثم إن المتأمل لقصة نوح عليه السلام في سورة هود** يجد تطورًا جديدًا ، حيث يقول تعالى :
{ **فقال الملاء الذين كفروا من قومه** } فقوله { **الذين كفروا** } يعني أن هنالك من الملاء من آمن بخلاف ما جاء في **الأعراف** { **فقال الملاء من قومه** } مما يعني هذا الموقف في بداية الدعوة .
{ **فقال الملاء الذين كفروا من قومه** }

فانقسام الملاء يوحى بتطور مخيف لقوم **نوح** ، فنوح عليهم السلام أصبح له أنصار وأتباع بالرغم من قتلهم ، لكن الموقف والحدث يوحى بتطور الأحداث في هذه الدعوة المتجدد صباح مساء وهذا الكفاح الممتد عبر مئات السنين !

{ **الذين كفروا** } هذه الجملة **صفة** كما هو مقرر في علم العربية ، بمعنى أن هناك ملاء لم يكذبوا ، إما هم من المؤمنين أو على أقل الأحوال ممن سكت واقتنع ضمناً بدعوة **نوح** عليه السلام وهذا مما لم يكن في **الأعراف** فوضع قوم **نوح** أختلف عما كانوا عليه في **الأعراف** .

﴿ **في الأعراف** من فرط إنكار قوم **نوح** لما جاءهم به قالوا : { **إنا لنراك في ضلال مبين** } أي أنك يا **نوح** في وسط الضلال المبين ، فصوروا ما جاءهم به **نوح** عليه السلام بأنه ضلال وهذا يبين شدة ما تشريت قلوبهم للشرك وعبادة الأصنام صوّروا الحق بالضلال البين الواضح .

{ **قال يا قوم ليس بي ضلالة** } نفى **نوح** عليه السلام أدنى شيء { **ليس بي ضلالة** } ونفى الأدنى ينفي الأعلى من باب أولى أي ليس بي أدنى ضلالة أو اتهام أو انحراف ، ثم استدرك قائلاً { **ولكني رسول من رب العالمين** } كل هذا مع تلطف وأدب في الخطاب ، وهذا يوحى به قوله { **يا قوم** }

﴿ **ثم إن أساليب أهل الباطل اتفقت دائماً على رد الحق في كل زمان بتهم كبرى**

كقول قوم **نوح** { **إنا لنراك في ضلال مبين** }
وكما قال قوم **هود** لنبيهم { **إنا لنراك في سفاهة** }
كما قال كفار قريش في شأن النبي عليه السلام { **قالوا معلم مجنون** } { **أم يقولوا شاعر نتربص به ريب المنون** }

﴿ في سورة هود ﴾ { ما نراك إلا بشراً مثلنا } هذا لون من ألوان الكفر والعناد والجحود وعدم الإيمان .
كل الأمم تعللت بعدم الإيمان ؛ لأن الرسائل جاء بها بشر { أنؤمن لبشرين مثلنا } { إن أنتم إلا بشر مثلنا }
{ ما هذا إلا بشر مثلكم } { هل هذا إلا بشر مثلكم }

فهل هذا مسوغ بعدم الإيمان بالله تعالى !
والله تعالى يرد على هذا الجحود والنكران والكفر والعناد ، بقوله تعالى
{ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين }
{ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس } { الله أعلم حيث يجعل رسالته }
ثم إن الله تعالى قال في محكم تنزيهه ردّاً على الكفار { ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً }
هذا هو حكم الله تعالى فكان المانع الأكبر من إيمان فئام من البشرية هو كون الرسالة السماوية كانت مع بشر
{ وما منع الناس أن يؤمنوا إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً }

﴿ في سورة هود ﴾ { ما نراك إلا بشراً مثلنا }

في المؤمنين { ما هذا إلا بشر مثلكم }

ما الفرق بين هاتين الآيتين من حيث الدلالة المعنوية والبيانية
لا ريب أن بينهما اختلافاً والقرآن الكريم يصور لنا هذه المشاهد
ويرسم لنا ببراعة بناء هذه القصة التي طال الكفاح فيها!

بداية : الآية الكريمة في سورة هود جاءت بالصيغة الفعلية { ما نراك إلا بشراً مثلنا }
ولو حذفنا أدوات الحصر صارت في غير القرآن { نراك بشراً }
الآية الكريمة في المؤمنين جاءت بالصيغة الاسمية { ما هذا إلا بشر مثلكم }
ولو حذفنا أدوات الحصر صارت { هذا بشر } فما الفرق ؟!

القاعدة اللغوية تقول : الجملة الاسمية **أكد** و **أثبت** من الجملة الفعلية
فالجملة الاسمية تدل على الثبوت والدوام
في سورة هود جاء التعبير ما يناسب الحدث { ما نراك إلا بشراً } إذ جاء بالصورة الفعلية التي تدل على الانقطاع وعدم
الاستمرار ، وهذا يناسب أوائل عهد الدعوة .

في سورة المؤمنين وبعد أن امتدّ عهد الدعوة وطال كفاح نوح عليه السلام عبروا بالجملة الاسمية دلالة على الثبوت
والدوام فقالوا { ما هذا إلا بشر مثلكم }

إذن التعبيران ليسا بمنزلة واحدة في الدلالة اللغوية ، وعليه اختلف المعنى تبعاً لاختلاف التعبير ، وهذا يوحى لنا
مدى تفاعل الأحداث وتطورها في سير القصة .

ومما يزيد هذا التفاعل توسعاً أنهم قالوا في سورة هود { ما نراك إلا بشراً مثلنا }
فقالوا { مثلنا } فساووه بهم في بادئ الأمر وأول دعوته لما كانت الحالة منقطعة وغير مستمرة
في حين لما تطور الأمر وازدادت المواجهات بين نوح وقومه قالوا في المؤمنين { ما هذا إلا بشر مثلكم }

﴿ في الأعراف ﴾ يقول تعالى { أبلغكم رسالات ربي } وهذا في بداية الدعوة مما يعزز القول أن موطن الأعراف يمثل بداية دعوة نوح عليه السلام بخلاف ما جاء في قصة صالح عليه السلام { لقد أبلغتكم رسالة ربي } وهذا في نهاية دعوة صالح عليه السلام.

﴿ وأنصح لكم ﴾

بصيغة الفعل المتجدد لتناسب قوله تعالى في سورة نوح { إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً ... ثم إن دعوتهم جهاراً ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً }

١. فنوح دعوته متجددة صباح مساء واتخذ معهم نوح عليه السلام كافة وسائل الدعوة وألوانها ، هذا من جهة
٢. جهة أخرى أنهم وصفوا نوحاً بالضلال { إنا لنراك في ضلال مبين } والضال يمكنه الاهتداء وترك الضلال وتغيير ما هو عليه من اعتقاد فالصيغة متجددة ، فقابل نوح عليه السلام ما وصفوه بصيغة الفعل المتجددة وهو قوله { وأنصح لكم } وهذا تناظر في البيان .

في حين قال تعالى في الأعراف عن هود عليه السلام { وأنا لكم ناصح } بصيغة الاسم الثابتة ، حيث نفي بها ما اتهموه { في سفاهة } أي حمق ، والحمق صفة ثابتة لا يمكن تغييرها ، فقابل النصح الثابت بالاتهام الثابت ، وهذا تناظر في البيان .

﴿ أبلغكم رسالات ربي ﴾

جاء في قصة نوح وهود وشعيب عليهم السلام لفظ { رسالات } في الأعراف لأن دعوتهم شملت أموراً كثيرة متنوعة ، فعلى سبيل المثال نوح يقول لقومه في سورة هود { ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول أني ملك ولا أقول ... }

وهود عليه السلام يقول في الأعراف { أوعجبتكم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون } فهذه { فاذكروا آلاء الله } هي الرسالات التي عناها هود عليه السلام .

وشعيب جاء برسالات في الأعراف يقول لقومه { قد جاءتكم بيّنة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين } { ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً .. }

أما في قصة صالح في الأعراف فجاء برسالة واحدة وهي الناقة { قد جاءتكم بيّنة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية } لهذا ناسب أن يكون اللفظ { رسالة } والله أعلم .

﴿ قوله تعالى { فأنجيناه والذين معه } ﴾

القرآن يستخدم لفظ (فأنجيناه) كما في الأعراف والشعراء وتارة أخرى يستخدم (فننجيناه) كما في سورة يونس فما السر في ذلك ؟

بداية الفرق بين اللفظين :

١. أن { فأنجيناه } أصله { أنجي } فيها همزة التعدية التي لها دلالة الإسراع في التنجية وعدم التمهل والتريث فالموقف شديد وخطير ولا يحتمل التأخر فعندها يستعمل القرآن { أنجي }

﴿ وثمة وقفة بيانية أخرى ﴾

فقد قال الله تعالى في **الأعراف** { والذين معه في الفلك }
وقال في **سورة يونس** { ومن معه في الفلك }
فقال في آية **الأعراف** { والذين } وقال في آية **يونس** { ومن }
فما السر البياني لاختيار الكلمتين !

{ **الذين** } اسم موصول خاص بمن **يعقل** وهذا الاسم يثنى ويفرد ويؤنث وهو أكثر استغراقاً في التعريف وأدل من الاسم الموصول المشترك وهو خاص بجمع العقلاء ، فاللفظ دال على العقلاء فحسب فالله جل شأنه أنجي المؤمنين ، فالعناية بأولياء الله دون غيرهم وهذا في **الأعراف** .

أما في **يونس** فعبر باسم الموصول { **من** } وهو اسم موصول مشترك يطلق على **العاقل** و**غير العاقل** وعلى المفرد والمثنى والجمع ، كما تقول النحاة كقول الله تعالى { والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع }

وهذا يعني أن الآية توحى لنا أن **النجاة كانت للجميع مع نوح** في السفينة من أناس وحيوانات مما يعقل وما لا يعقل كما قال الله تعالى { **احمل فيها من كل زوجين اثنين** } كما ذكر الكرمانى في أسرار التكرار .

في **الأعراف** اقتصر ذكر النجاة على **العقلاء (الذين)** وفي **يونس** جاء التعبير { **من** } ليوسع دائرة الناجين مما يعني التطور القصصي ومما يعزز القول أن قصة **الأعراف** هي استهلال لهذا المشوار الطويل وهذا الكفاح الدؤوب فنرى أحداث القصة تتطور كلما تقادمت عهودها .

{ فأنجيناه والذين معه في الفلك } **الأعراف**

{ فننجيناه ومن معه في الفلك } **يونس**

{ فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون } **الشعراء**

{ فأنجيناه وأصحاب السفينة } **العنكبوت**

وقفة حول الفلك والسفينة ، وتطورات هذا الحدث

ومنه يتبين أن قصة الأعراف هي استهلال لهذا الكفاح الطويل .

﴿ جاء ذكر الفلك في **الأعراف** حيث اقتصرت النجاة على ذكر العقلاء وهم المؤمنون ﴾

في **يونس** اتسعت رقعة النجاة فضمت من يعقل وغيره بذكر اسم الموصول (**من**) لتطور الأحداث في القصة ، وذكر الفلك فيها ؛ فالقصة لا تزال في أولها .

في **الشعراء** نجد تطوراً كبيراً حيث وصف الفلك بقوله تعالى { **في الفلك المشحون** }

و**المشحون** يعني المملوء بالناجين ، والمتأمل لقصة **الشعراء** يجد أنها وصل فيها الحوار والمواجهة أقصاه ، كما قال نوح عليه السلام { **فافتح بيني وبينهم فتحاً** }

﴿ في **العنكبوت** { فأنجيناه وأصحاب السفينة } لم يأت ذكر الفلك في هذا السياق . ﴾

ما الفرق بين الفلك والسفينة !

يقول أهل اللغة :

الفلك : يطلق على الواحد والجمع

فإن أطلق على الواحد **جاز تذكيره** ؛ كقوله { **في الفلك المشحون** }

وإن جمع **أنث كقوله** { **لتجري الفلك فيه بأمره** }

فالفلک فهو اسم جنس ليس له واحد من لفظه كنساء وأبل وهذا الوصف للفلک جاء بعد أن مضت **مئات** السنين على دعوة نوح عليه السلام مما يعني كثرة الأتباع معه فيتبين لنا من هذا أن الوضع يزداد شيئاً فشيئاً وأن كل مشهد يحكي لنا مرحلة من مراحل هذه الدعوة الطويلة

﴿ في العنكبوت ﴾ اختلف الوضع تماماً وبلغ الأمر ذروته من **جهة الكم**

فلعلنا نترك الحديث للقرآن أولاً لنرى التصوير المناسب للحال إذ يقول الله جل شأنه { فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون } { فأنجيناها وأصحاب السفينة .. }

فهنا لم يعد الأمر والحال يوصف (**بالفلک المشحون**) بل تعداه إلى ما هو أبعد من ذلك وهو قوله تعالى (**السَّفِينَةَ**) وهذا اللفظ يطلق على الأكبر حجماً من المركبات البحرية الذي لا بعده حجم ، فأى سياق يتناسب معه هذا اللفظ ومتى ومع من ؟

قال ابن منظور : **والسَّفِينَةُ** الفُلُّكُ لأنها تَسْفِنُ وجه الماء أي تقشره ، وقيل سميت السفينة سفينة لأنها تَسْفِنُ على وجه الأرض أي تَلزِقُ بها قال ابن دريد سفينة فعيلة بمعنى فاعلة كأنها تَسْفِنُ الماء أي تَقْشِرُه والجمع سَفَائِنُ وَسُفُنُ وَسَفِينِ .

قال عمرو ابن كلثوم يفتخر في قومه تغلب :

مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا
وَمَاءَ الْبَحْرِ نَمْلَأُوهُ سَفِينَا

يقول أهل هذه **المواصلات** : فعبارات المحيطات الضخمة تسمى سفناً (الموسوعة العربية العالمية) ومما يؤكد أن لفظ (**السفينة**) أكبر حجماً من الفلك دلائل منها :

1. عندنا **قاعدة** في العربية وهي : الاسم المتصرف أشرف في اللغة من الذي لا يتصرف فالفلک اسم جنس لا يتصرف يطلق على المفرد والمثنى والجمع على حين أن لفظ السفينة تتصرف من مفرد ومثنى وجمع مما يعنى أنها **أوسع** استعمالاً من الفلك في اللغة وعلى هذا فهي أعم منها.
2. من ناحية أخرى أن الله سبحانه لما قال (**السفينة**) جاء في السياق بما يناسب هذا الحجم في التعبير وقال في الآية :

(**فَلَبِثَ فِيهِمْ**) (**أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا**) (**الطُّوفَانَ**) (**وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ**) (**وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ**)

- ✓ فناسب أن يذكر مع لفظ السفينة قوله تعالى { فلبث فيهم }
- ✓ جاء في المعجم الوسيط : **اللبث يدل على الإبطاء والتأخير الطويل**
- ✓ وناسب أيضاً { **ألف سنة إلا خمسين عاماً** } وهذا **المدة الطويلة** تتناسب مع ذكر السفينة
- ✓ وناسب أيضاً ذكر { **الطوفان** } الذي عم الأرض كما قال ابن كثير.
- ✓ وناسب كذلك مع ذكر السفينة قوله تعالى { **أصحاب السفينة** } وهذا عدد **هائل** ضمتهم تلك السفينة العظيمة .

✓ وناسب أيضاً فوق كل ذلك قوله تعالى { **وجعلناها آية للعالمين** } فأصبحت السفينة آية للبشرية ، وأحاديث للناس في عظمها .

وهذا كله لا يتناسب مع لفظ الفلك فتأمل !

أول ذكر للخلائف في قصة نوح جاء في **سورة يونس** ، حيث يقول تعالى { فنجيناها ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف } بينما لم تذكر الخلائف في **الأعراف** في قوله { فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا .. } فما السر في ذلك !

كما أسلفت القول أن قصة **الأعراف** هي استهلال لمشوار نوح عليه السلام ولهذا الكفاح الطويل ، وهي ابتداء لسير دعوته ورسالته .

وذكر الخلائف في أول سير الدعوة لا يتناسب مع سياق قصة **الأعراف** لسبب :

أولاً: الخلفاء والخلائف هما جمعا تكسير لمفرد خليفة

والخلائف: جمع خليفة ، والخليفة : اسم لما يُخلف به شيء ، أي يجعل خلفاً عنه ، أي عوضه يقال: خليفة وخلفه

الخليفة هو الذي قام مقام غيره في الأمر الذي جعل إليه.

{ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ }

جاء عند الطبري : وجعلنا الذين نجينا مع نوح في السفينة خلائف في الأرض من قومه الذين كذبوه بعد أن أغرقنا الذين كذبوا بآياتنا وجاء في كتاب النكت والعيون (أي خلفاً لمن هلك بالغرق)

فالخليفة يخلف غيره ، وقصة نوح في **الأعراف** هي أول ذكر له على وجه التفصيل القصصي ، فلا يتلاءم ذكر الخلائف في **الأعراف** ؛ لأن القصة لم يتقدمها قصص ، بخلاف قصة نوح في **سورة يونس** فقد تقدمتها قصة **الأعراف** ، فكان ذكر الخلائف في **يونس** أليق لأن قصة **يونس** خلفت قصة **الأعراف** .

هذا مما يعزز القول أن موطن **الأعراف** يمثل بداية دعوة نوح عليه السلام ، كما أسلفت القول فيه

وثمة **وقفه** أخرى وهي : ما الفرق بين الخلائف والخلفاء في التعبير القرآني ؟ !

بداية الخليفة جمعها خلائف وخلفاء ، وهو من خلف غيره

فالكلمتان ترجعان لأصل واحد كما عند أهل العربية

ولكن القرآن الكريم يزاوج بين اللفظين ، فلا يستويان في تعبير القرآن !

الخلائف: هم الذين يخلفون أقواما كافرين مهلكين بغض النظر عن حال الخلائف

فالله سبحانه يقول عن الناجين من قوم نوح { وجعلناهم خلائف } بعد أن أهلك وأغرق المجرمين

{ جعلكم خلائف في الأرض } فالحديث في الآية عن كفار خلفوا كفاراً ألا ترى بعدها { فمن كفر فعليه كفره }

أما **الخلفاء:** فهم الذين خلفوا قوما صالحين فهؤلاء يسمون (**خُلَفَاء**)

ألا ترى أن الخلفاء الراشدين لا نسميهم (خلائف) بل هم خلفاء لأنهم خلفوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأيضا خلف بعضهم بعضاً.

يقول هود عليه السلام لقومه { واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح } فقال (**خُلَفَاء**) وهم الذين يخلفون أقواما

صالحين ومعلوم أن قبيلة عاد جاءت بعد الذين نجاهم الله تعالى من الغرق والطوفان وهم المؤمنون من قوم نوح

فهم (**خُلَفَاء**) وليسوا خلائف.

والنبي صالح عليه السلام يخاطب قومه { واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد } فقال (**خُلَفَاء**) لأنهم خلفوا

الصالحين ممن نجي من قوم عاد وليسوا خلائف .

وفي **سورة النمل** الخطاب من الله تعالى للكفار { ويجعلكم خلفاء الأرض } فهم { خُلَفَاء } وليسوا خلائف.

فالمسألة ينظر فيها لحال المخلوف وليس لحال الخالف الذي قام بالخلافة وهذا سبب للقرآن ، والقرآن شاهد على هذا فقوم **نوح** عليه السلام امتن الله عليهم بأنهم خلائف للذين هلكوا وهم رأوهم ملء السمع والبصر فأى نعمة هذه.

وصف القرآن الكريم قوم **نوح** بقوله { إنهم كانوا قومًا عَمِينَ } وعلى القراءة الأخرى { عامين }

فوصفهم الله تعالى **بالعمى الثابت** لهم وهذا يدل على جبروتهم وطغيانهم وهذا الوصف مقابل ما وصفوا به **نوحا** عليه السلام بقولهم { **إنا لنراك في ضلال مبين** } وهذا تقابل في المعنى .

القصة في **سورة يونس** هي بمثابة اتباع القصة في **الأعراف** { وائل عليهم نبأ نوح }

و المتأمل في قصة **سورة يونس** يجد أن قوم **نوح** لزموا الصمت فلم يتكلموا بشيء ، وهذا وجه من وجوه القصة وأظهرت القصة تحدي **نوح** لهم { ثم اقضوا إلي ولا تنظرون }

في **سورة يونس** جاء قوله تعالى { فانظر كيف كان عاقبة المنذرين }

فصدر القصة ومستهلها جاء فيها الإنذار والتحدي معا ، وبذل لهم **نوح** عليه السلام النصح { إن كان كبر عليكم مقامي وتذكير بآيات الله فعلى الله توكلت } { فإن توليتم فما سألتكم من أجر .. } فوافق صدر القصة آخرها .

في **يونس** جاء قوله تعالى { فإن توليتم فما سألتكم من أجر }

وفي **هود** جاء قوله تعالى { يا قوم لا أسألكم عليه أجراً }

وفي **الشعراء** { وما أسألكم عليه من أجر }

فجاءت زيادة { من } الاستغراقية في **سورة يونس** و **الشعراء** عن **سورة هود** ، ما سر هذه الزيادة !

أولاً: من ناحية المعنى { من أجراً } أكثر استغراقاً في النفي من كلمة { أجر }

إذ أنها تنفي الأجر صغراً أم كبر لأنها دخلت عليها { من } الاستغراقية التي نفت شمولية الأجر بجميع أشكاله وألوانه .

أما من حيث السياق فالسياق يأتي تبعا للمعنى فقول الله { من أجراً } أوسع وأعم من { أجر }

ولهذا نجد الأعم يأتي في سياق الخصومة والشدة والمواجهات الحرجة بين الأنبياء وأمهم ، فنوح عليه السلام في **سورة يونس** نلحظ من السياق أنه يتحدى قومه ويواجههم مواجهة صريحة .

ألا ترى أنه يقول لهم { إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم } فهو يتحداهم بقوله { فأجمعوا أمركم وشركاءكم } وقوله { ثم لا يكن أمركم عليكم غمة } وقوله { ثم اقضوا إلي ولا تنظرون } وهذا يتناسب مع قوله { من أجراً }

كذلك في **الشعراء** جاءت في القصة { من أجر } فقد تواصل نصح **نوح** عليه السلام لقومه وبذل معهم جهداً كبيراً ولهذا نراه يكرر لفظ التقوى في القصة ، وبهذا ضاق القوم به ذرعاً وهاجموه هجوماً شديداً ألا ترى إلى قولهم { قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين }

في حين أننا لا نرى مثل هذه التحدي مع كلمة { أجر }

إذ يقول **هود** عليه السلام : { يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني }

{ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين }

فالمتأمل لقول **هود** عليه السلام يرى التحبب والتودد والتلطف في النصح لقومه

وهذا ظاهر بتكرار قوله { وياقوم } وعليه ناسب السياق قوله { أجر }

وهذا ينسحب على آيات كثيرة من كتاب الله تعالى.

يقول الله تعالى في **هود** { وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي }
وهناك آية نظيرة لتلك في **الشعراء** { قالوا أنؤمن لك واتبعك الأراذلون }
فما الفرق بين هذين القولين وهل نستطيع القول أن مثل هذه الآيات متساوية في المعنى ؟

ففي آية **هود** لما كانت الدعوة في **بدايتها** { بادي الرأي }
لم تكن قضية الإيمان محل نقاش في حوارهم مع **نوح** ، وهذا يعنى أنها قضية مفروغ من إنكارها فلم يتطرقوا لها بل
كان الحديث عن قضية **الأتباع** وأن الذين **اتبعوك** يا **نوح** هم عدد من **أسوأ وأسفل** ما عرف المجتمع .

ولهذا أضافوا الأراذل لهم فقالوا { أراذلنا } اسم تفضيل نكرة أضيف للضمير
والأراذل جمع أرذال ، وأرذال جمع رذل ، وقيل الواحد أرذل والجمع أراذل
وهذه الإضافة تفيد **التحقير والتقليل** من شأنهم ، ولذلك أكدوا بضمير الفصل { **هم** } الذي يفيد التوكيد عند
البلاغيين .

ولهذا قالوا { **بادي** } أي من بدأ أي لما **ظهر أمرك** وما تدعو له ، فهم **اتبعوك** من غير دراية وتفكير وسابق علم
وهذه على قراءة { **بادي** } بالياء وهم الجمهور
وقرأ أبو عمرو وعيسى الثقفي { **بأدى** } بالهمز من بدأ ، بادي الرأي مهموز أول الرأي
وبادي الرأي غير مهموز ظاهر الرأي .

ومرادهم بقولهم { **بادي الرأي** } أي : **أوله** من البدء .
يقال : بدأ يبدأ إذا فعل الشيء أولاً وعليه تكون الياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها
ويؤيده قراءة أبي عمرو { **بادئ الرأي** }
أمر آخر أن المقام في **الأعراف** و**يونس** لم يذكر لنوح أتباع لأن الدعوة في **بدايتها** وفي **مهدا** .

غير أن دعوة **نوح** عليه السلام هي وحي من الله سبحانه وتعالى وتأييد لعبده ونصر له في الدنيا والآخرة
ولهذا نجده في **سورة الشعراء** يكرر عليهم الدعوة تلو الدعوة والنصح إثر النصح كل ذلك تصحيح لمعتقدهم وتقويم
لعبادتهم ونشر للخير ومطاردة للشر .

فتكرار قوله { **فاتقوا الله وأطيعون** } إذ أنه كرر **التقوى** لهم في قصة **الشعراء** ثلاث مرات
وبعد هذا الجهد الجهد والبذل المتواصل نرى موقف القوم تغير عما كان عليه من قبل وبات الحديث عن قضية
الإيمان أمراً مطروحاً لا يمكن أن يتجاهل في ظل التنامي في زيادة المؤمنين .

فجاء في **الشعراء** قوله تعالى { **قالوا أنؤمن لك واتبعك الأراذلون** }
وقرئت { **وأتباعك الأراذلون** } بالاسم فكأن الأتباع هنا استقر شأنهم وثبت وضعهم وتأكد إتباعهم أكثر مما كان عليه
في **هود** لأن الاسم أقوى و**أكد** من الفعل وبالتالي زادت المواجهة بين **نوح** وقومه

ولهذا صرحوا بقضية إيمانهم من عدمها وصارت هذه القضية قابلة للتفاوض بعد أن كانت غير مسلم بها من قبل
القوم في **الأعراف** و**يونس**

فجاءوا بالاستفهام الإنكاري بقولهم { **أنؤمن لك** }
والإيمان بالقرآن يعدى **بحرفين** لا ثالث لهما .

- الإيمان إن عدي **باللام** فهو بمعنى التصديق والاستجابة والتسليم كقوله تعالى في الآية الأنفة الذكر ومنه
{ فما آمن لموسى إلا ذرية } { وما أنت بمؤمن لنا } { قال آمنتم له قبل أن آذن لكم } { يؤمن بالله ويؤمن
للمؤمنين } { قال آمنتم له } { أفتطمعون أن يؤمنوا لكم }

• وأما إن عدي **بالباء** فهو الإيمان الشرعي الذي هو نقيض الكفر كقوله تعالى { فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به { إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا { أثم إذا ما وقع آمنتم به { إن كنتم آمنتم بالله { قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم { ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به {

فهم يرون أن هذا بعيداً منكرأ لا يقبل الجدل ولا يساوم عليه ولا يتنازلون عنه خصوصاً أن الأتباع عظم شأنهم وكثر سوادهم { واتبعك الأردلون } فالواو هنا **للحال** كما قال الزمخشري في كشافه

ومما يشد من صحة هذا التحليل أن في **هود** قالوا { أرادلنا } وهي جمع تكسير اكتسبت التعريف بالإضافة إلى { نا } وهو ضمير المتكلمين .

غير أن ما في **الشعراء أعظم** من هذا فقد قالوا { الأردلون } جمع مذكر سالم دخل عليه (ال) التعريف وهي **أكد** بالتعريف من الإضافة وأبين .

هذا من جانب من جانب آخر أن جمع المذكر السالم **أوضح** من جمع التكسير وأظهر فهو يحافظ على أصل الكلمة ولا يحذف منها شيئاً أما جمع التكسير فهو يشوه أصل المفرد بالزيادة أو الحذف ويغير من بنيتها ومن هنا جاءت آية **الشعراء أعم وأشمل** من آية **هود** .

وهذا راجع إلى تعاضم الأحداث في القصة ، فالأردال بزعمهم تطور وضعهم مع مرور الأيام والسنين وكثر عددهم وأصبح لهم كيان ظاهر ولم يعودوا كما كان وضعهم في السابق ، كما في قوله تعالى { ولكن أكثرهم لا يشكرون } { ولكن أكثر الناس لا يشكرون }

﴿ في سورتى **يونس** و**هود** قال تعالى { إن أجري إلا على الله {

أما في **الشعراء** فقال تعالى { إن أجري إلا على رب العالمين {

هذا التباين في التعبير يخضع لتطور الأحداث في الدعوة فهو يكشف لنا تطور الأحداث فيها

فلما كانت الدعوة في **بداية** عهدها والغالبية في قوم **نوح** من عباد الأصنام خاطبهم **نوح** بما يليق بحالهم وهذا هو عين البيان كما يقول البلاغيون : **البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال** فقال { إن أجري إلا على الله } أي على المعبود الحق المتصرف بالأرزاق والعطايا .

على حين لما كثرت أتباع **نوح** وأصبح لهم وجود وكيان تبدل اللفظ القرآن تبعاً لتغير الحال وقال عندها { إن أجري إلا على رب العالمين }

أي أجري على القائم بالتربية الهادي للعالمين والمتكفل بأرزاق الناس أجمعين .

﴿ فإن توليتم فما سألتكم من أجرٍ إن أجري إلا على الله {

بين **نوح** عليه السلام أنه لا ينتظر منهم أجراً على ما يقوم به ، ولم يقل **نوح** عليه السلام فما سألتكم من ثمن أو جزاء ؛ لأن **الأجر** لا يكون إلا عن عمل متفق عليه مسبقاً فقوم **نوح** ظنوا أن **نوحاً** يريد أجراً .

ولا تقوم كلمة (**ثمن**) مقامها ؛ لأن الثمن يكون عن عين تقابل الثمن فتعطيني عيناً أعطيك بدلاً منها ثمناً كما قال الله جل ذكره { ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون } { اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله { وشروه بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة } .

وأما (**الجزاء**) فهي الأخرى لا تقوم مقام الأجر ؛ لأن الجزاء يكون مماثلاً ومكافئ ويرضى به الناس كما قال تعالى { إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين } { جزاء وفاقاً } فمن خلال هذه الكلمات ترى أنه لا يمكن أن تقوم كلمة مقام كلمة .

في **سورة هود** قال **نوح** عليه السلام لقومه: { لا أسألكم عليه مالا } وفي جميع القرآن { لا أسألكم عليه أجراً } والأجر هو ما يتقاضاه العامل على ما قَدَم من عمل ، والرسول عليهم السلام أجرهم على الله تعالى .

والآية **الوحيدة** في القرآن التي ذكرت { مالا } في **سورة هود** جاءت مناسبة لقوله تعالى بعدها { ولا أقول لكم عندي خزائن الله } فلما ذكر الخزائن ناسب ذكر المال قبلها .

عبر **نوح** عليه السلام عن أتباعه المؤمنين لما كان في بداية الدعوة { وما أنا بطارد الَّذِينَ آمَنُوا } بصيغة الفعل بقوله { آمَنُوا } الذي يدل على الانقطاع وعدم الاستمرار فهم حديثو عهد بإيمان ، وهذا من المناسب التعبير عنهم بهذه الصيغة الفعلية .

ولكن لما طال عهد الدعوة وتقدمت السنون ، ثبت هؤلاء مع **نوح** على الإيمان وصار الأمر لا مرية فيه ولا ريب ، فجاء التعبير مخالفاً في **الشعراء** عما كان عليه في **سورة هود** فعندها قال **نوح** عليه السلام { وما أنا بطارد المؤمنين } فسامهم { المؤمنين } بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام والاستمرار وهذا يعني أن أتباع **نوح** عليه السلام تأكد إيمانهم وثبت واستقر كيانهم ، كذلك توجي الكلمة باستقلاليتهم عن غيرهم وكثرتهم .

وهكذا نجد أن كل قصة من تلك القصص أعطت وجهاً من وجوه القصة والحدث وصورت لنا وقائع دعوة **نوح** عليه السلام أجمل تصوير وبأدق العبارات وأجزها وأبلغها وأطراها فكأننا نرى هذه المشاهد رأي العين وهذا من أهداف إيراد القصة في كتاب الله تعالى هذا من ناحية .

من ناحية أخرى يقول تعالى { بطارد } طارد هنا اسم فاعل من طرد والنبي **نوح** عليه السلام ينفي أن يقع الطرد منه للذين آمنوا ، هذا النفي جاء بتقدم (ما) النافية وبزيادة (الباء) التي تفيد التوكيد عند أهل اللغة ، وكذلك اسم الفاعل (طارد) جاء مضافاً أي بدون تنوين فيه .

والقاعدة اللغوية :

١. إذا أضيف اسم الفاعل دل على المضي والحال والاستمرار ، وهذا عند كثير من النحاة

٢. أما إذا نون ونصب ما بعده فهو للحال أو الاستقبال

نحو قوله تعالى { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } { فلعلك باخع نفسك على آثارهم } وكقوله { فلعلك تاركٌ بعض ما }

وهذا يعني أن **نوحاً** عليه السلام لم ولن يقع منه الطرد أبداً لا في المضي ولا في الحال ولا في الاستقبال بمعنى أنه استغرق جميع الأزمنة وهذا أبلغ من لو قال (بطارد) بالتنوين لأن هذا دلالة قطعية في الحال أو المستقبل فقط دون الماضي .

وقرأ نافع وابن كثير والكوفون ما عدا عاصماً { كاشفات ضره } بغيره تنوين .
وقرأ أبو عمرو وعاصم { هل هن كاشفات ضره } بالتنوين على الأصل
وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم ، لأنه اسم فاعل في معنى الاستقبال ، وإذا كان كذلك كان التنوين أجود .

هذه الجولة السريعة في اختلاف القراءات بينت لنا أنه لا تنافر بينها ولا تعارض

وأن كل قراءة تؤدي معنى مستقلاً بنفسه ، ولا يمكن أن تكون بمنزلة واحدة !

فسبحان من قال { كتاب أحكمت آياته... }

﴿ ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيتهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين ﴾

كل هذه المسائل التي ذكرها نوح عليه السلام لم يتجرأ عليها إنما رد أمرها إلى الله تعالى.

لأن نوحاً عليه السلام يعلم علم اليقين أن هذه المسائل ليست من اختصاصه ، إنما هي من اختصاص الله تعالى ، لذا الخوض فيها ضرب من الاعتداء في شؤون الخالق جل شأنه ، ألا ترى أنه قال في الفاصلة { إني إذا لمن الظالمين } أي المعتدين .

من ناحية أخرى

﴿ يقول الله تعالى { خزائن الله } على حين يقول الله تعالى في موطن آخر { خزائن ربك } ويقول تعالى في الثالثة { خزائن رحمة ربك } فما التأويل لهذا الاختلاف !

{ خزائن } جمع تكسير لمفرد خزينة جاءت على صيغة منتهى الجموع وقد أضيف في الحالات الثلاث غير أن الإضافة اختلفت وعليه اختلف المعنى .

١. ففي آية هود أضيفت للفظ الجلالة { الله } وهو الاسم الأعظم ، وجاء الخطاب من نوح عليه السلام لقومه وهم كفار في مقام نفي من نوح لقومه بعلمه لهذه الأمور فكأنه يقول لا أعلم خزائن إلهي ومعبودي الذي أعبد ، فهو في سياق الدعوة لقومه ولفظ الله أنسب وأليق في هذا المقام .
٢. أما آية ص فقد أضافت لفظ (رحمة) وأضيف رحمة للفظ (رب) وهذا خطاب من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم والله إذا خاطب أنبياءه وأوليائه وأصفياهه أضافهم للربوبية لأن الله هو الذي رباهم وتولاهم وهداهم وأرشدهم.
٣. أما في الطور فقد أضيفت للفظ { رب } مباشرة وهو خطاب من الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ومن نافلة القول أن آية الطور أعم وأشمل وأوسع من آية ص ، ذلك أن آية الطور جاء فيها { خزائن ربك } وهذه مطلقة لأي خزينة تشمل خزائن الرحمة وغيرها لذا قال في الفاصلة { أم هم المصيطرون } .

﴿ سلط الله تعالى الضوء في سورة هود على

١. الحوار الذي دار في صنع الفلك وعلى من ركبها .
٢. ثم فصل الله تعالى بالحوار الذي بين نوح وقومه وبين نوح وابنه وبين نوح وربّه تفصيلاً واسعاً لا نجده في موطن آخر من القرآن وهذا يضيف لنا وجهاً من وجوه القصة ومشهداً من مشاهدها

لهذا نجد أن القرآن رسم لنا لوحة بيانية تكمل لنا ما تبقى من هذا العمل الفني البياني البديع فيقول تعالى { وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ } .

فقال تعالى { ويصنع الفلك } والصنع هو إيجاد وإتقان الشيء .

فالفلك لا بد له من إتقان وصناعة ؛ لأن الحدث المقبل حدث هائل ضخم يحتاج لمقارعة وصرع وهو الطوفان هذا هو الصنع كما قال تعالى { وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم } .

ثم قال الله تعالى { وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ } وهذا المشهد يتكرر كثيراً بدلالة (كلما) الظرفية التي تفيد التكرار فالملا يسخرون من نوح ؛ لأنه يصنع سفينة على يبس ليس عنده ماء فكان هذا المنظر مدعاة للسخرية من قوم نوح لنوح .

والسخرية لا تحدث إلا من جراء فعل ظاهره غير لائق عند الساخر
 { فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } { أَتَخَذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ }
 { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ }

فالكفار سخروا من نوح عليه السلام لعمل يجهلون غايته ، و نوح عليه السلام وأتباعه سخروا من الكفار لعلمهم
 بأنهم جاهلون في غرور ، فرد عليهم قائلاً { إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم }
 عبر الله تعالى بالسخرية هنا ؛ لأنها خاصة بالأشخاص والناس بالذات بخلاف الاستهزاء .

يقول تعالى في هود { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورَ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ }
 وقال في المؤمنون { فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَّوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورَ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ
 اثْنَيْنِ }

فقال تعالى في سياق هود { احمل } وهذا يناسب التفصيل والإطناب والبسط في سياق سورة هود
 والحمل الأصل فيه أن يكون على الظهر كما قال الله تعالى { وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون }
 وقال { إلا ما حملت ظهورهما } { حمالة الحطب } { فقد احتمل بهتاناً }

وهؤلاء تنوء ظهورهم بما تحمل ، إذًا فالحمل أشق وأكثر تعباً من السلك وهذا :

١. يلاءم وينسجم مع قوله تعالى في أول الآية (ويصنع) فالصنع فيه إتقان وإجادة وبراعة
٢. كذلك جاء الفعل على صورة المضارع الذي يفيد التجدد والحال الذي لا تنتهي
٣. وفيه أيضاً مشقة وتعب .
٤. كذلك انسجم { الحمل } مع الفعل { قلنا } إذًا جاء الأشد مع الأشد .

أما في سياق المؤمنون اتسم بالإيجاز وعدم التفصيل ، فقال فيه { فَاسْأَلْكَ } هو الإدخال في مساكنهم في السفينة .
 و { السلك } ناسب الإيجاز والإيحاء وعدم التفصيل

والسلك في اللغة : هو الإدخال من مكان ضيق كما قال الله تعالى الكفار { ما سلككم في سقر }
 والسلك هنا يفسره قول الله تعالى { وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبِقًا مَقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا }
 ويقول تعالى { اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء }
 قال تعالى (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) بداية (كل) لها قواعد في التعبير :

١. إذا أضيفت

- ✓ فإما أن تكون إلى نكرة فيراعى المضاف إليه (المعنى)
- مثل (كل رجل حضر) (كل امرأة حضرت) (كل رجلين حضرا)
- ✓ وإذا أضيفت إلى معرفة يصح مراعاة المضاف ومراعاة المضاف إليه معاً (اللفظ والمعنى)
- مثال : (كل إخوتك) إخوتك جمع يجوز أن يقال كل إخوتك ذاهب ويقال كل إخوتك ذاهبون
- (كل) لفظها مفرد مذكر ومعناها تكتسبه بحسب المضاف إليه .

٢. إذا قطعت عن الإضافة لفظاً جاز مراعاة اللفظ والمعنى

(كلُّ حضر) (كلُّ حضروا) يجوز (كلُّ آمن بالله) (كلُّ في فلك) (كلُّ له قانتون)

لكن هل هنالك اختلاف في المعنى في القرآن بين هذا أو ذاك ؟ هذا هو السؤال ؟

فقرئت (كل) بالتنوين والإضافة في هود والمؤمنون
فمن قرأ بالتنوين جعل (زوجين) مفعولاً به للفعل (احمِل) و (اثنين) صفة لما قبلها
والتقدير (احمِل زوجين اثنين من كل)
ومن قرأ بالإضافة جعل مفعول الفعل (احمِل) (اثنين)
والتقدير (احمِل اثنين من كل زوجين)

{ احمِل فيها من كل زوجين اثنين } تعميم على الجميع (زوجين) بلا استثناء
{ احمِل فيها من كل زوجين اثنين } تعميم على العدد (اثنين) لثلاً يزداد العدد (العدد)
فالحجة لمن نون أنه أراد من كل صنف زوجين فجعل التنوين دليلاً على المراد
والتنوين هنا تنوين عوض عن محذوف .

والحجة لمن أضاف أنه أراد أن يجعل الزوجين محمولين وجمع بين سائر الأصناف وعنى بقوله زوجين ذكر وأنثى
لأن كل اثنين لا ينتفع بأحدهما إلا أن يكون صاحبه معه فكل واحد منهما زوج للآخر وأكد بقوله (اثنين)

واختلاف القراءتين هي من باب تغطية المعنى للحدث فكل قراءة تضيف معنى مرادفاً وتكمل الصورة للمشهد
وليست من باب التضاد في المعنى ثم أن الآية قدمت واهتمت بحمل الحيوانات قبل الإنسان وهذا يدل على أنه لن
تستقيم حياة الإنسان إلا بالتعايش مع الحيوان على الأرض.

﴿ نوح ﴾ أمر نوح عليه السلام الركابين معه في السفينة بأن يقولوا { بسم الله } استعانة وبركة وتوفيقاً
فهذه الكلمة هي سر التوفيق النجاح والهدية والبركة في الحياة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام :
(كل كلام لا يبدأ في أوله بذكر الله فهو أبتى) أي مقطوع البركة والخير .

هذه البسملة هي آية من الفاتحة فقد افتتح الله تعالى كتابه بها ، وهذا القول قال به طائفة من العلماء وهي جزء من
آية هود وآية النمل هذا من جهة .

من جهة أخرى نلاحظ (اسم) تأتي على رسمين في القرآن إما أن ترسم بدون الألف (بسم) أو بألف (اسم)
فترسم بدون الألف بشرطين :

الأول : أن تكون مجرورة بالباء

الثاني : أن تضاف للفظ الجلالة (الله)

نحو { وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ } وقوله { إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }
فاذا اختل أحد الشرطين رجعت الألف .

كقوله تعالى { وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ } هنا اختل الشرط الأول

{ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } وهنا اختل الشرط الثاني

{ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً } وهنا اختل الشرطان كلاهما
فرسمت الألف .

وقول نوح عليه السلام هذا { وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها } يبين ارتباطه الوثيق بالله تعالى في كل حال
واتصاله الدائم به جل وعز واستعانتة بربه في الشدائد والمحن ، لذا أثنى الله تعالى بقوله { إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا } .

وقوله تعالى { مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا } أي وقت جريها ووقت إرسائها أو مكان الجري ومكان الرسو فيصح أن يكونا
ظرفي زمان أو مكان وهذا يدل على سعة اللفظ القرآني فهو حمّال معان وهذا حاصل كله باسم الله تعالى .

قوله تعالى (**إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**) أصفى الله تعالى إذا تكلموا عن أنفسهم قالوا (**ربي**) أي الذي تولى تربيتنا وقد تحدثت عن هذا في أول البحث ، وأيضاً فالله هو الربان لهذه السفينة وسط هذه الأمواج فهو الذي يتولى رعايتها وقيادتها وحفظها.

وقول الله تعالى { **لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** } هذه الفاصلة تكررت كثيراً في كتاب الله تعالى ، حيث جاءت أكثر من **سبعين** مرة فقدم (**غفور**) على (**رحيم**) والتقديم والتأخير بحسب السياق ذلك أنها جاءت في سياق **الذنوب والمعاصي** واقتراف الآثام من بني آدم ، وهذا بصورة عامة.

فبنو آدم خطاءون على كل حال والله غفور رحيم لهم على هذه الذنوب والمعاصي ، فقدم المغفرة لأجل أن السياق يتحدث عن هذه الذنوب وجاءت (**إن**) و (**واللام**) فيها **للتوكيد** على ذلك.

على حين أن هناك آية خالفت ترتيب هذه الفاصلة وهي **الوحيدة** في القرآن وهي **آية سبأ** (**يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ**) فقدمت الرحيم على الغفور!؟

فهذه ليست في سياق الذنوب بل هي في سياق ما يلج في الأرض ما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها فالله جل جلاله رحيم بهذه الأشياء وجاء بأل لاستغراق الرحمة والمغفرة هذا أمر.

أمر آخر هو أننا نجد في كتاب ربنا أحياناً (**غافر**) وحيناً (**غفار**) وثالثة (**غفور**) فهل تستوي هذه الألفاظ في ميزان كتاب الله تعالى ، لعنا نضعها تحت المجهر اللغوي لنرى البعد اللغوي لكل منها.

✓ أما (**غافر**) فهي اسم فاعل من الفعل الثلاثي غفر كقوله (**غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ**) وقوله (**أَنْتَ وَلِيِّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ**)

وهذا الاسم (**غافر**) يأتي في سياق **جنس الذنب والمعصية** ، بمعنى أنه لا ينظر فيه غالباً لكثرة الذنب أو للكيف والحجم في الذنب أو غير ذلك .

ففي **آية غافر** قال الله تعالى (**غَافِرِ الذَّنْبِ**) أي جنسه ، وفي **آية الأعراف** موسى عليه السلام يطلب من الله تعالى من الله تعالى المغفرة للذنوب الذي أصابهم ثم قال (**وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ**) أي أنت يا رب خير من يغفر الذنب ويستره.

✓ على حين يقول تعالى في مقام آخر (**إنه كان غفاراً**) وقال (**وما بينهما العزيز الغفار**) وقال (**وإني لغفار لمن تاب وآمن**) فقال في هذه الآيات (**غفار**) وهذه صيغة مبالغة على وزن (**فَعَال**) جاءت من اسم الفاعل ولكن أريد بها التكثر في حدوث الفعل والمبالغة فيه .

كما قال ابن مالك في الخلاصة

فعال أو مفعال أو فعول في كثرة عن فاعل بديل
فصيغة (**غَفَّار**) تدل على **كثرة المغفرة** لمن كثرت منه الذنوب والمعاصي كل حين
فالمسألة هنا هي للكثرة في الذنب لا جنس الذنب .

فالله جل وعز غفَّار لها يقابل هذه الذنوب بكثرة المغفرة ، وهذا نلمسه من التضعيف الوارد على حرف الفاء في الكلمة لأن التضعيف يدل على تكرار الفعل .

✓ أما (**غفور**) فهي الأخرى من أبنية المبالغة القياسية فيها فخامة في النطق ، فالواو عند نطقها تملأ الفم صوتاً ، ولهذا غالباً ما تأتي مع **الحالات العظيمة** فإذا تتبعنا كلمة (**غفور**) في القرآن وجدناها تأتي في سياق **عظائم الذنوب** غالباً .

ولهذا يقول العلماء أن **أرجى** آية في كتاب الله تعالى هي قوله تعالى (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

- ✓ فقال الله في الآية (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) لعظم ما جاء في الآية من اقتراف للذنوب والآثام والإسراف فيها
- ✓ فجاء بضمير الشأن (إِنَّهُ) لأهمية المسألة ، والنداء عام لكل العباد ألا ترى قوله تعالى { قل يا عبادي }
- ✓ وجاء بضمير الفصل (هو) للتوكيد على هذا الأمر
- ✓ وأدخل التعريف على الاسمين (الْغَفُورُ) (الرَّحِيمُ) للحصر والقصر وأنه لا غفور ولا رحيم إلا هو سبحانه وهذا الاسم يتناسب مع ما جاء في الآية من عظمة .
- ✓ وقال تعالى (يا عبادي) وهذا نداء لجميع العباد دون استثناء
- ✓ وهذا اللفظ جاء مرسوماً بالياء وهو أوسع وأشمل من الذي رسم بغير الياء كقوله تعالى في الزمر (فبشر عباد الذين يستمعون القول)
- ✓ ثم قال الله (أسرفوا) والإسراف هو تجاوز الحد في الأمر .
- ✓ وقال أيضا (لَا تَقْنَطُوا) والقنوط أشد من اليأس وأبعد .
- ✓ وقال أيضا (رَحْمَةَ اللَّهِ) والرحمة هي التي وسعت كل شيء
- ✓ ولاحظ أنه قال رحمة الله وهي أوسع من رحمة الرب .

هذا كله وغيره لا يتناسب مع كلمتي (غافر) أو (غفار)

وكذلك قوله تعالى (نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم)

فقال (الغفور الرحيم) لتتناسب مع :

- ✓ (نبي) والنبأ للأمور المهمة العظيمة بخلاف الخبر
- ✓ وقال (عبادي) وهو عام للجميع
- ✓ وقال (أني) ضمير الشأن للتعظيم
- ✓ وقال (أنا) ضمير الفصل للتوكيد
- ✓ لأجل هذا ختم (الغفور الرحيم)

وهذا التوغل في بيان جمال القرآن الكريم هو من التدبر الذي أمرنا الله به أن نتأمله ، فنلاحظ أن كل كلمة في مقامها الرائع المناسب للصيق بها وهذا غيض من فيض ونقطة من بحر

ومثل هذا يقال في قول الله تعالى (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) وقوله تعالى (قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) وغيرها .

بقي مسألة أخيرة وهي عندما نسر القرآن الكريم ونجري عليه مسحة سريعة نجد أن هناك تلازما واقترانا بين

الغفران والذنوب وبين التكفير والسيئات

وهذا لا تختلف فيه آية في القرآن الكريم .

قال الله تعالى { وهي تجري بهم في موج كالجبال }

وصف الله تعالى موجاً من هذا الطوفان بأنه كالجبال ، فالموج الواحد منه كالجبال ، فكيف بالموج . والجبال لا تأتي في القرآن إلا في مقام الهيبة والعظمة والشدة وهذا سياق عام في القرآن .

كقوله تعالى { ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى } أي لكان هذا القرآن ، لعظمة كتاب الله تعالى .

وقوله { ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً }
فهذه الجبال الهائلة سوف يساويها الله تعالى بالأرض ، وهذا يدل على **عظمة الجبال**.

وقوله تعالى { لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ }
فجاء الجبل في مقام **الهيبة والعظمة**

ولم يقل الله تعالى طوداً ولا وتدأً ولا علماً فهذه لا تتناسب مع هذه المواقف العظيمة.

فأراد الله تعالى أن يصف **عظمة هذا الموج فوصفه الله بالجبال** ، وهنالك شواهد أخرى تعزز هذا المعنى
وهذا التفصيل الدقيق الواسع في القصة لم يرد إلا في **سورة هود** .

﴿ ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي ﴾

في هذا المشهد تظهر لنا **عاطفة الأبوة الحانية والشفقة عند نوح** عليه السلام والرحمة التي وضعها الله تعالى في
قلوب البشر والحنان الذي فطره الله تعالى للناس فينادي **نوح** ربه في قضية نجات ابنه { **رب إن ابني من أهلي** }

وهذا النداء يبدو منه أنه بعد ما رفض ابنه الركوب ، فحاول **نوح** عليه السلام أن ينفذ ابنه في الآخرة بعد ما يتيسر منه
في الدنيا فرد تعالى بقوله { **إنه ليس من أهلك** } فالعلاقة الحقيقية ليست علاقة قرابة بل هي أبعد من ذلك إنها
الرابطة الأبدية وهي **علاقة الدين والملة** .

ولذلك **إبراهيم** عليه السلام تبرأ من **أبيه** لما علم **عداوته لله** تعالى { وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة
وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم }

ومنها موقف **امرأة فرعون** منه في قوله تعالى { **و ضرب الله مثلاً للذين آمنوا أمراً فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك
بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله...** }

وقوله تعالى { **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان** }

نهى الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن **موالاة الكفار** ، وصرح في موضع آخر بأن الاتصاف بالإيمان مانع من موادة
الكفار ولو كانوا أقرباء ، وهو قوله تعالى { **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو
كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم** }

إذاً هذا درس يجب أن نعبه تماماً فالمسألة ليست مسألة قرابة فحسب بل إن هذه القرابة لن تغني من الله شيئاً يوم
القيامة { **لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم** }

و **نبينا** عليه الصلاة والسلام حاول جاهداً أن ينفذ عمه أبا طالب لأنه كان **يؤد عنه ويحميه** ، فنهاه الله تعالى عن
ذلك { **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** }

وفي هلاك ابن **نوح** حكمة لا يدركها ولا يعلم مداها لا **نوح** عليه السلام ولا غيره ، فغرق ابن **نوح** فيه خير لنوح
وللبشرية في ذلك الزمان فحكمة الله تعالى لا تدرك ولا تستطيع البشرية أن تحيط بكنهها فعقولهم قاصرة عن ذلك
وهذا من معنى قول الله تعالى { **أحكم الحاكمين** }

{ **فأحكم** } اسم تفضيل أضيف لمعرفة { **الحاكمين** } نال التفضيل تنصيماً في هذا النوع والصفة

كقوله تعالى { **خير الماكرين** } { **خير الناصرين** } { **خير الرازقين** } { **خير الفاصلين** } { **خير الحاكمين** } { **خير الفاتحين** }
{ **خير الغافرين** } { **أرحم الراحمين** } { **أحسن القصص** } { **أحسن الخالقين** } ..

ولما قال نوح عليه السلام (**إِنَّ أَبِي مِنْ أَهْلِي**) نفى الله تعالى بقوله (**إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ**)
لم يقل الله إن ابنك ليس من أهلك فهذا المعنى لا يستقيم فكيف يكون ابنك ولا يكون من أهلك ؟

بل حذف القرآن هذه الكلمة حتى لا يتسلل إلى ذهن القارئ هذا التشويش الذي يخل بفهم الآية حتى وإن عاد الفهم
مرة أخرى مع وجود الكلمة ، فهذا معنى قول البلاغيين : **إن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال** .

تعلل المألاً للدخول في دعوة نوح بسببين :

أحدهما : { ما نراك إلا بشراً مثلنا }

فالبشرية هي المانع الذي جعلهم لا يتبعون نوحاً عليه السلام ، فلا يمكن تنزل رسالة السماء على بشر مثلهم على حد
زعمهم ، ولذلك جحدوا وأدى بهم ذلك للكفر فهم يرون أن هذا لا يكون إلا لملك .

غير أن الله تعالى رد على هذا الطلب بقوله { **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ** }
والعجيب اتفاق جميع الأمم على هذا السبب نفسه وهو كون الذي يهديهم بشر وهذا محال أن يقع وقد صرحوا في
غير موطن من كتاب الله تعالى .

لكن ربما يتساءل أحدنا لماذا جاء التعبير بقولهم (**بشر**) لماذا لم يأت بقوله (**إنسان**) أو (**نفس**)

ألا يستقيم المعنى لو وضعنا هاتين الكلمتين بدلاً من الأولى ؟ أليست هذه الثلاث تدل على معنى واحد ؟
أم أن التعبير القرآني يستعمل كل لفظة وكلمة في مكانها اللائق بها .

إن المتأمل لتلك الكلمات **الثلاث** في كتاب الله تعالى يجد أن القرآن الكريم يضع كل كلمة في سياق يناسب معناها
ويلاءم وضعها وينسجم معها انسجاماً تاماً لا انفصام لها ولا انفكاك .

فتأتي كلمة **بشر** في كتاب الله تعالى في سياق **الظهور والمباشرة** لأن كلمة بشر أخذت من البشرة
جاء في الصحاح للجوهري **البشرة** : ظاهر جلد الإنسان .

قال ابن فارس في المجمل : سموا بشرًا لظهورهم

وفي لسان العرب قال الليث : البشرة أعلى جلدة الوجه والجسد من الإنسان .

إذن فالكفار ينكرون أشد الإنكار أن تكون رسالة الله يكلف بها بشر محسوس مشاهد يرى بالبصر ، بل أن الأولى لهذا
الأمر أن يكلف ويشرف به ملك من الملائكة

{ **إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء** } { **أنؤمن لبشرين مثلنا** } { **ما أنت إلا بشر مثلنا** } .

أما كلمة **إنسان** فلا تقوم هذا المقام **لأن الدلالة المعنوية تمنع من ذلك** .

فالإنسان سمي إنساناً ؛ **لأنه ينسى**

جاء في تاج العروس : الإنسان من النسيان أو الإنس وهذا لا ينسجم مع تركيبه الآية

فلو سبرنا كتاب الله تعالى لوجدنا أن القرآن يأتي بها في مقام النسيان .

كقوله تعالى : { **أولا يذكر الإنسان أن خلقناه من قبل ولم يك شيئاً** } { **يوم يتذكر الإنسان ما سعى** }
{ **يوم يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى** } { **هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً** } .

في **سورة الشعراء** قويت المجابهة واحتدم الصراع وزادت الضراوة بين نوح عليه السلام وقومه

وكرر عليهم النصح { **فاتقوا الله وأطيعون** }

﴿ نفى نوح عليه السلام عن نفسه كل التهم وكل ما ألصقوه به ﴾

وأثبت لهم من خلال الحوار وقال { إن أنا نذير مبين }

هذا الأسلوب هو الأقوى في النفي يضاها في قوته ويتلاءم مع التهم والمطالب التي طلبها قومه لتعجيزه فهو أسلوب نفي استخدم فيه أداة النفي (إن) التي تنفي الجمل الأسمية والفعلية وهي أشد من (ما) في النفي بأداة الإثبات (إلا) وهذا سياق عام في القرآن الكريم .

قال الله تعالى في الشعراء { كذبت قوم نوح المرسلين } فقد كذبوا بجميع رسالات السماء لما كذبوا بدعوة نوح أيضا طلب التقوى من نوح والأمر بإقامتها { فاتقوا الله وأطيعون } كذلك { قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين } فهذا التهديد المخيف ناسب قوة النفي

وقول نوح عليه السلام { إن أنا نذير مبين } يختلف عن قول النبي عليه الصلاة والسلام وقوة درجة النفي فيه { وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين } فإذا كان السياق يحتاج لقوة نفي جاء فيه (إن) النافية.

﴿ ثم أن الله تعالى يقول { إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون } ﴾

فقال حساب ولم يقل حسباناً كما في قوله تعالى { فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم } وقال { الشمس والقمر بحسبان } فما الفرق بين كلمتي { حساب } { حسابان }

الحسابان أعم من الحساب ففيه زياد الألف والنون للمبالغة ، فالله تعالى جعل الشمس والقمر من منافعهم أنهم للحساب الفلكي الدقيق فهما يسيران في نظام لا يختلف فلو اقتربت الشمس من الأرض لاحترق واحتل توازن الحياة ولو اقترب القمر من الأرض لأدى لفيضانات البحار !

إذا من رحمة الله أن جعلهما حسباناً للكون كما قال تعالى

{ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } .

أما الحساب فليس فيه هذه الدقة المتناهية ؛ لأن الحساب خاص بالناس من قبل الله تعالى فالله تعالى هو الذي سوف يحاسب الناس وحساب الله يسير كما قال الله تعالى { فسوف يحاسب حساباً يسيراً } فلا يقسُ على الناس بالحساب وهو أيضاً يرزق دون أن يحاسبه أحد.

﴿ قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ﴾

هذا ما جاء على لسان قوم نوح فبعد أن طال زمن دعوة وجرى نوح عليه السلام كل الأساليب التي أمر بها مع قومه ، عظم الأمر على قومه وضاعت بهم السبل والحيل شعروا بأن الأمر خرج عن سيطرتهم .

فالمؤمنون بازدياد وأصبح لهم وجود و نوح لم يكف عما يدعو له ولم ينته عندها ورأوا أنه لا سبيل لرد الدعوة وردع نوح عليه السلام إلا القوة واتخاذ إجراءات صارمة ضد نوح عليه السلام ، فهددوه بالرجم .

والرجيم فَعِيل بمعنى مفعول وأصل الرجم الرَّمِي ، بقول كان أو بفعل.

وهذا هو حال جميع الأمم التي أرسل الله تعالى لها رسلاً ، فالرسول صلى الله عليه وسلم لما ضاقت به قريش ذرعاً هددوه { وإذ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }

وعند ابن كثير رحمه الله في تأريخه لما نزل الوحي على رسول الله عليه الصلاة والسلام أخبرت خديجة ابن عمها ورقة ابن نوفل أمر النبي عليه الصلاة والسلام فقال له ورقة : (هذا الناموس الذي كان ينزل على موسى ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال عليه السلام : أو مخرجي هم فقال : نعم) .

وشعيب عليه السلام قال له قومه { لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ } وقالوا له أيضاً { وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا زَهْرَتُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزِيزٌ }

ولوط قال له قومه { قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ } وإبراهيم قال له أبوه { قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنُ إِلَهِتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا } وغيرهم من الأنبياء .

فهذا سياسة يتخذها الأقوام المكذبة مع رسلهم والمصلحين في الأرض فهم عندما تسقط جميع حججهم ويفحهم أنبياءهم بالبرهان يلجأون في الأخير إلى استخدام القوة والقهر والجبروت إما بالقتل تارة أو بالإخراج حيناً أو بالرحم الثالثة .

ففي هذا المشهد في **الشعراء** نرى **نوحاً** عليه السلام يوبخهم ويعنف عليهم ويهاجمهم ويزجرهم وهذا نلاحظه من **تكرار لفظ التقوى** في القصة { أَلَا تَتَّقُونَ } { فَاتَّقُوا اللَّهَ } فما كان منهم إلا أن هددوه بالرحم { قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ } .

وأكدوا بمؤكدات وهي :

اللام الموطئة للشرط ، (أداة الشرط) (إن) ، (اللام) في لتكونن ، (نون التوكيد) الثقيلة في الفعل كل هذا لخطورة ما يجدونه من دعوة **نوح** عليه السلام

ولهذا دعا **نوح** ربه بالفتح بينه وبين قومه لأنه رأى منهم عدم الاستجابة وأن الأمل أصبح ضئيلاً منهم .

ورأى أيضاً منهم عمقاً في القبول { قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذِبُونَ*فافتح بَيْتِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } فهذا المشهد كما تلاحظ اتسم بالمواجهة الهائلة التي صورها الله تعالى لنا بأدق تصوير وأجمل بيان وأحسن إخراج .

كانت النتيجة من دعوة **نوح** لقومه أن كذب قومه ، ولم يؤمن مع **نوح** إلا القليل

كما قال تعالى { وما آمن معه إلا قليلٌ } وكان هذا التكذيب موجباً للعذاب من الله تعالى لقوم **نوح** فجزاء المكذبين والمستهترين في الأرض هو العذاب وهذه هي سنة الله في الخلق أجمعين .

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : آمن مع **نوح** عليه السلام **أربعون** رجلاً و**أربعون** امرأة هذه هي الحصيلة النهائية من هذا العمر الطويل - **ألف سنة إلا خمسين** عامًا - الذي قضاه **نوح** في دعوة قومه وهذا الكفاح المتواصل مع قوم تجدر فيهم الشرك وبلغ منهم كل مبلغ !

فتكون ملامح هذا القصة كالتالي :

الأمة : قوم **نوح**

نبيهم : **نوح** عليه السلام

موطنهم : شمال العراق

نتيجة الدعوة : إيمان أربعين رجلاً وأربعين امرأة

العذاب : الطوفان وهو الغرق ، وإهلاك الظالمين

الناجون : **نوح** عليه السلام وأبناؤه **الثلاثة** مع المؤمنين .

قصة نوح عليه السلام في سورة العنكبوت جاءت موجزة مختصرة لكنها تحمل في ألفاظها معاني واسعة جداً فكل كلمة لاءمت النظم والسياق في القصة ذاتها وهذا معنى قول البلاغيين: البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال! فدعونا نقف على ألفاظها .

✓ استهلقت قصة نوح في سورة العنكبوت بقوله تعالى { ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه .. }

والواو في قوله { ولقد } للعطف

عطفًا على أحداث جرت في أول السورة بين الكفار والمؤمنين ثم إن هذا العطف يفيد كثرة تردد نوح عليه السلام لقومه ، حيث جرب معهم شئًا أساليب الدعوة .

✓ قوله تعالى { فلبث فيهم }

اللبث : في اللغة له دلالة طول الارتباط الزمني ، كقوله تعالى { لالبثين فيها أحقاباً } عند ابن منظور قال الفراء في { لالبثين فيها أحقاباً } قال : الحقب ثمانون سنة { ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين } ، { للبث في بطنه إلى يوم يبعثون }

وأما المكث : فله دلالة الارتباط في المكان ، كقوله تعالى : { ماكثين فيه أبداً } { فيمكث في الأرض } { قال إنكم ماكنون } { فمكث غير بعيد } { قال لأهله امكثوا } .

✓ القرآن الكريم بيّن طول المدة والعمر الزمني لدعوة نوح عليه السلام في قومه في سورة العنكبوت

وهذا لم يذكر في جميع القصص لنوح ، مما يعني أن كل قصة اختصت بشيء جديد ، وأن إيراد القصة بوجوه مختلفة إنما هو لإبراز جوانب متعددة في أحداث القصة لم تظهر في مواطن أخرى.

{ ألف سنة إلا خمسين عامًا }

هذا هو عمر دعوة نوح عليه السلام بذل فيها النصح والتوجيه والإرشاد دون ملل أو كلل في هذا الكفاح الطويل تنوعت أساليب الدعوة واختلفت أوقاتها وصورها { إني دعوت قومي ليلا ونهاراً } { ثم إني دعوتهم جهاراً * ثم إني أعلنت لهم ... }

✓ قال تعالى { فأخذهم الطوفان }

{ الطُوفَانُ } من حيث اللغة

يقول ابن منظور : والطوفان الماء الذي يغشى كل مكان

وقيل المطر الغالب الذي يغرق من كثرته

قال ابن سيده وقال الأخفش : الطُوفان جمع طُوفانَةٍ وهو من طاف يطوف

قال والطُوفان مصدر مثل الرّجحان والنقصان .

والألف والنون في (الطُوفَانُ) للمبالغة مثل الغفران والنقصان والحيوان والخسران والذكران وطغيان كفران سبحان وحسبان وغيرها ، فلما بالغ الله في الكلمة ناسبت لفظ (السفينة) فلا يستطيع مجارة هذا الطوفان إلا السفينة وقد صور لنا القرآن هذا الطوفان.

فخير ما يفسر به كتاب الله هو كتاب الله تعالى

فقال { وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ }

ومنها { فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ } { وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ } وهذا كله من هول الطوفان.

✓ وقوله تعالى { وهم ظالمون }

قال ابن عباس : وهم مشركون
فقد كان القوم يعبدون الأصنام : ودأ ، وسواعاً ، ويغوث ، ويعوق ، ونسراً ، الواو هنا للحال
وهنا إشارة وهي إن قوم نوح عذبهم الله تعالى وحالهم ظالمون فلم ينتهوا عن الظلم حتى حل العذاب وهذا أدعى
للتنكيل بهم.

✓ قوله تعالى { فأنجيناه وأصحاب السفينة }

الفعل { أنجى } بهزمة التعدية يأتي لخطورة الموقف والحدث ، والقصة في العنكبوت جاءت بذكر الطوفان
وهو الأخطر عذاباً
قال ابن كثير رحمه الله تعالى : إن الطوفان عم الأرض
فناسب ذكر الإنجاء مع الطوفان.

✓ { وأصحاب السفينة }

قال أهل التفسير : كانوا نحو من ثمانين رجلاً وامرأة
و الصحبة من معانيها أنها لا تظهر غالباً إلا في الحالات الحرجة الشديدة العصبية
كما في حال بني إسرائيل لما وقعوا في حال حرجة وكرب شديد قال الله عنهم { قال أصحاب موسى إنا لمدركون }
وقوله تعالى { إذا يقول لصاحبه لا تحزن } وهذا موقف حرج
فالذين مع نوح عليه السلام جعلوا السفينة كالصاحب في هذا الموقف العصيب لأنه لا منجٍ من هذا الطوفان بعد
الله إلا السفينة
فظهرت المناسبة لذكر الصحبة مع ذكر السفينة.

✓ وقوله تعالى { وجعلناها آية للعالمين }

وهذا تعظيم لأمر هذا السفينة التي بقيت آثارها حتى أوائل الدولة العباسية
وقوم نوح جعلهم الله تعالى آية للعالمين { وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية }
والقصة كلها آية أيضاً للناس { ولقد تركناها آية }
بصورة عامة يتبين لنا أن قصة نوح عليه السلام في سورة العنكبوت مع أنها موجزة إلا أنها أفصحت عن معانٍ
عظيمة متلائمة في نظمها متناسقة في تركيبها أعطت تصويراً آخر عما أفصحت عنه القصص الأخرى.

فقصة نوح في سورة العنكبوت انفردت عن بقية القصص بما يلي :

١. بذكر تاريخ القصة وطول إقامة دعوة نوح عليه السلام ولبثه فيهم
٢. ذكر الطوفان الهائل الذي عم الأرض
٣. صحبة الناجين للسفينة وشدة تعلقهم بها في هذا الظرف الحالك
٤. ذكر السفينة في هذه القصة
٥. القصة آية للعالمين

تعتبر قصة نوح عليه السلام في **سورة العنكبوت** هي الفيصل في أحداث القصة وفصولها ومراحلها
فما قبل قصة **العنكبوت** يعتبر تاريخ لنوح عليه السلام مع قومه قبل الطوفان
وما بعد قصة **العنكبوت** يعتبر تاريخ لنوح عليه السلام بعد النجاة وسوف نقف على ذلك بالتفصيل .
﴿ في **سورة الصافات** القصة أضفت وجوهاً جديدة لم تذكرها القصص السابقة

• فقال تعالى فيها { ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون }

التعظيم في النداء بقدر هول الموقف الشديد
والتعظيم يجري أيضا في مدح **المجيب** وهو **الله** جل شأنه ، فالفعل (نعم) أرقى أفعال المدح وأسمائها .
ثم انظر لهول هذا الموقف الحرج العصيب الذي وصفه الله تعالى بقوله { من الكرب العظيم }
والعظيم : هو الذي ليس بعده شيء .
فهذا النداء اتسم مع شدة الموقف الذي أحاط بنوح عليه السلام وأتباعه ، وانسجم أيضا بنجاة مباشرة من الله جلّ شأنه .

• { وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ }

بعد أن أغرق الله تعالى قوم نوح بالطوفان وهلك الجميع وطهرت الأرض من رجس المشركين وعباد الأوثان ونجّى الله تعالى نوحاً والمؤمنين ، هبط كل من كان على السفينة بأمان من الله وبركة على الأرض مرة أخرى .

أفنى الله تعالى الجميع ممن نجى مع نوح وماتوا إلا أبناء نوح **الثلاثة** وهم **سام** و**حام** و**يافث**
قال ابن عباس : لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء وإلا ولده ونساءهم .
فأصبحت لهم الخلافة في الأرض فأهل الأرض كلهم يرجعون إلى أبناء نوح **الثلاثة** .

وإذا نظرنا من ناحية بيانية وجدنا هذا واضحا من كتاب الله تعالى فقد قال تعالى { وجعلنا ذريته }
وهم : أبناء نوح **الثلاثة** وهم **سام** و**حام** و**يافث** فقد أضيفت (الذرية) للضمير (الهاء) وهذه إضافة تفيد التحديد
ثم قال بعدها { هم الباقيين } وهم ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر .

ثم قال (الباقيين) أي الذين بقوا بعد هلاك القوم وبعد أن مات الناجون كما قال جمهور المفسرين
فعن ابن عباس رضي الله عنهما : لم تبق إلا ذرية نوح عليه السلام .
عن قتادة في { وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ } قال الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام .
وقد روى الترمذي وابن جرير عن سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى { وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ } قال : **سام** و**حام** و**يافث** .

وعند ابن كثير عن سعيد بن المسيّب قال : كان وُلد نوح ثلاثة : **سام** و**حام** و**يافث** :

- **سام** أبو العرب وفارس و روم
- **حام** أبو السودان من المشرق إلى المغرب
- **يافث** أبو الترك ويأجوج ومأجوج وما هنالك .

هذه اللفتة الكريمة في **سورة الصافات** رسمت لنا بقية اللوحة الفنية مما بقي من قصة نوح عليه السلام
وهي جزء من فصول هذه القصة ومن مشاهدتها والملاحظ أنها لم يذكرها الله تعالى إلا بعد ذكره للطوفان
ولمدة الدعوة التي قضاه نوح عليه السلام مع قومه .

فلم يذكرها الله تعالى في بداية القصة ولا في وسطها إنما جاءت في النهاية لتسلط الضوء على من بقي ، وتذكر الخلق أجمعين أن الناس كلهم أبناء لنوح عليه السلام ومن سلالته الأنبياء
كما قال الله تعالى { ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب }

فهل بعد هذا نقول أن القصص القرآنية متكررة وأنها تغني واحدة عن أخواتها !
أم أن كل قصة ترسم لنا زاوية من زوايا هذا المشوار الطويل وتتجول بنا في خبايا الخفيا
لكني أذكر بقوله تعالى { أفلا يدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً }

• { وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين }

لما ذكر تعالى هلاك الظالمين واستئصال شأفتهم ، عقب تعالى بذكر ذريته ونسله ، وجعل الله لهم البقاء في الدنيا دون غيرهم ، أخذ تعالى بالثناء الحسن والذكر الجميل لهذه السيرة العطرة ولهذا المشوار الطويل.

حيث قال تعالى { وتركنا عليه في الآخرين }

قال ابن عباس رضي الله عنهما يذكر بخير فالله تعالى ترك على نوح الذكر الحسن وهو { سلام على نوح في العالمين } فهذه الجملة وقعت في محل نصب مفعولاً به لقوله { وتركنا عليه في الآخرين } كما قال الكسائي والزمخشري.

فالمتأخرون الذين جاءوا بعد نوح عليه السلام يذكرونه بخير ويشنون عليه ويدعون له على ما قدم في سبيل هداية قومه والنصح والتوجيه لهم ، ويكفي أن الله تعالى سلم عليه السلام الأخير بقوله { سَلَامٌ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ }

وجاء السلام مخصوصاً لنوح { في العالمين } دون سائر الأنبياء ممن ذكرهم في السورة ، إشارة إلى انتماء العالمين لنوح عليه السلام فهم يذكرونه بخير ، وهذا السلام جاء في نهاية قصة نوح فهو شهادة من الله رب الأرباب ، وذكرًا تتناقله الأجيال عبر التاريخ لنبيه وهذا هو الختام.

صورت لنا سورة القمر فظاعة عذاب الله تعالى في قوم نوح وأليم عقابه وكبير مقتته في لقطات ومشاهد وصور مهيبة يعجز عنها التصوير البياني ، فنوح عليه السلام استنصر بالله تعالى وأوكل الأمر له جل شأنه :

• { فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ }

انتصر أنت يا رب لدينك انتصر لمنهجك انتصر لحقك انتصر لدعوتك انتصر لعبادك المؤمنين أما أنا فقد انتهي جهدي ، انتهت طاقتي ، انتهت عزميتي ، انتهت قوتي ، انتهى دوري !

فالسباق في القمر جاء كله لله تعالى قاصم الجبابرة من أهللك الأمم ، كل ذلك تحذيراً للمكذبين المعاندين من أهل مكة الذين رأوا الآيات عياناً أمامهم منها انشقاق القمر { وإن يروا آية يعرضوا } ومع ذلك يقول تعالى :
{ وكذبوا واتبعوا أهواءهم } وقال { فما تغن النذر }

• ومن المشاهد لهذا العذاب الذي حل بقوم نوح في سورة القمر ونزل بهم قول الله تعالى
{ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عَيْوناً فَالتقى الماء على أمرٍ قد قدر }
فقال الله تعالى { فَجَّرْنَا } بالتضعيف والتشديد حيث جعل الله تعالى الأرض كلها عيون ماء .

وهذا يدل على :

١. الهول والبطش والتنكيل وهذا معنى قول الله { وفار التنور }

جاء عند ابن كثير عن ابن عباس: التنور وجه الأرض ، أي صارت الأرض عيوناً تفور حتى فار الماء من التنانير التي هي مكان النار صارت تفور ماء ، وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف ، هذا من ناحية .

٢. وإذا نظرنا لها من ناحية بيانية فقد قال تعالى { **فَجَرْنَا** } بالتضعيف وهذا يدل على كثرة التفجير ، فالتضعيف في اللغة يدل على المبالغة في حدوث الفعل وقد تلاءمت مع قوله تعالى { **عيوناً** } التي تدل على كثرة العيون المفجّرة فالزيادة في المبنى دل على الزيادة في المعنى.
فلما بالغ في حدوث التفجير كثّر العيون كما قال تعالى :

- { **وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار** }
فلما قال { **يتفجر** } بالتضعيف جمع معها { **الأنهار** }
- ومثله قوله تعالى { **من نخيلٍ وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً** }
فلما قال { **فتفجر** } بالتضعيف جاء معها قوله { **الأنهار** }
- كذلك قوله تعالى { **وجعلنا فيها جناتٍ من نخيلٍ وأعنابٍ وفجرنا فيها من العيون** }
فلما قال الله { **وفجرنا** } بالتضعيف ناسب قوله { **العيون** } بالجمع وهذا تناظر في اللغة العربية. ***

✓ أما من جانب السماء فالأمر أشد لقوله تعالى { **ففتحن أبواب السماء بماء منهمر** }
و **المنهمر** : المنصب ، أي المصبوب
يقال : همر الماء إذا صبه ، أي نازل بقوة كما قال ابن عاشور
ثم أعقبها الله تعالى بقوله { **فكيف كان عذابي ونذر** } أي فكيف كان عذابي الذي أنزلته بهم وإنذاري لهم .

✓ قوله تعالى { **وحملناه على ذات ألواح ودسر** }

والدسر : جمع دسار ، والدسار : المسمار الذي تشدّ به السفينة .
جاء عند ابن جرير رحمه الله عن ابن عباس قوله (**وَدُسْرٍ**) يقول : المسامير .
وعن قتادة في قوله (**ذَاتِ أَلْوَاحٍ**) قال : معاريض السفينة.

قوله تعالى { **على ذات ألواح..** }
ذات مؤنث ذو بمعنى صاحب تجمع على ذوات وتثنى ذواتا ، دلالتها البيانية للتعظيم
{ **ذواتا أفنان** } تعظيم ، { **ذواتي أكل خمط وأثل ..** } تعظيم
فعظم الله تعالى سفينة نوح عليه السلام بقوله تعالى { **ذات ألواح** }
فجاء التعظيم للسفينة من وجوه :

- قوله تعالى { **واصنع الفلك بأعيننا ووحينا** } **والصنع** لا ريب أنه متقن .
- قوله تعالى { **وهي تجري بهم في موج كالجبال** } فالسفينة قارعت أمواجاً كالجبال ، ولا ريب أنها عظيمة .
- قوله تعالى { **ذات ألواح ودسر** } وهذا أيضاً تعظيم لها .

✓ { **ولقد تركناها آية** } ✓

هي السفينة بقيت ماثلة للأمم اللاحقة
{ **وجعلناها آية للعالمين** } هي قصة نوح عليه السلام ، وقيل السفينة ، فالتفسير يحتمل الأمرين .
{ **وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية** } هم قوم نوح .

{ ولقد تركناها آية } ترك هذه القصة وهذه السفينة الهائلة آية وعلامة للأجيال

- لتتعظ بما حل بهم من عذاب الله الأليم .
- وتكون درساً للعبرة والموعظة ومآلاً للمجرمين المكذبين

أما السفينة فقد بقيت حتى أوائل عهد الدولة العباسية كما قال ذلك غير واحد من أهل التاريخ .

وقد أبقي الله بقية السفينة إلى صدور الأمة الإسلامية

وفي صحيح البخاري : قال قتادة : بقيت بقايا السفينة على الجودي حتى نظرتها أوائل هذه الأمة . ويقال إنها دامت إلى أوائل الدولة العباسية .

أخيراً ونحن نقرأ سورة القمر تستوقفنا ألفاظ السورة وهذه المقاطع اللغوية الجزلة في لفظها وفواصلها التي وكأنها قطعت من الصخر، فعظمة هذه السورة تتجلى في عدة معان منها المقطع الصوتي الفخم والجزل فيها ، وما ذلك إلا ضرب من التحدي الذي أعجز الله أهل البيان .

✓ فقد نزلت السورة بمكة إمعاناً لهم بالتحدي { ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر } و { مدكر } الأصل عند سيبويه مذكر فاجتمعت الذال وهي مجهورة أصلية والتاء وهي مهموسة زائدة فأبدلوا من التاء حرفاً مجهوراً من مخرجها فصار مذكر فأدغمت الذال في الدال فصار مدكر .

فالله تعالى يبين أن القرآن :

- سهل التذكر .
- سهل القراءة .
- سهل لمن يريد أن يعتبر ويتعظ ويتدبر .
- سهل الحفظ أيضاً .

ولذلك جاء القرآن بأحسن اللهجات وأخفها وتجنب المكروه من اللهجات وهذا من أسباب تيسير تلقي الأسماع له ورسوخه فيها .

وسبب ذلك التيسير كونه :

١. بأفصح اللغات .
٢. وكونه على لسان أفضل الرسل صلى الله عليه وسلم .

فلا تجده صعب اللفظ ولا خشن الصوت ولا مهجور الكلمة بل على العكس من ذلك فهو طرياً ندياً غضاً سهل العبارة واضح اللفظ قريب المعنى ميسراً من كل جانب وناحية .

فالسهولة والتيسير تحيط بكتاب الله تعالى من كل صوب وحذب فحجة الله تعالى قائمة على خلقه في كتابه العظيم ومع كل ذلك { فهل من مُدِّكِرٍ } .

والغريب أن هذه الآية { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدِّكِرٍ } جاءت في سورة القمر ، فالقارئ لهذه السورة يجد فيها ألفاظاً ربما لأول مرة يسمعها أو أنها بظنه بعيدة في بنيتها عن اللسان العربي الفصيح موحشة الصوت في نبرتها وربما لا تجد قبولاً عند قارئها أو سامعها أو صعبة في إدراك معناها فحتى لا يتسلل هذا الفهم إلى عقول بعض الناس

جاءت هذه الآية { ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر } لتزيل هذا الإشكال فسبحان من قال { كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير } .

الوقفه الأخيرة هي على **سورة نوح** بأكملها ، فما هي ملامح هذه السورة ، وما هو الجو العام لها ، ولماذا لم تكن السورة في الأول ، ما سبب تأخرها عن بقية القصص لنوح عليه السلام ، وبماذا تميزت ؟

إن المتأمل المتدبر **لسورة نوح** عليه السلام يجد أمراً لافتاً للانتباه مستوقفاً للذهن مثيراً للدهشة وهي أن **سورة نوح** حوت وجمعت ملامح القصة ومشاهدها كلها بل وزادت على ما ذكر.

✓ هذه السورة تعتبر **دورة من دورات الدعوة إلى الله** و أنموذجاً فريداً يحتذى به وتدريباً عملياً لأهل الصلاح في الأرض وتجربة خالدة للبشرية ، وشوطاً من أشواط المعركة الخالدة بين الحق والباطل وبين الخير والشر والهدى والضلال .

✓ هذه السورة تكشف لنا **صوراً من صور البشرية العنيدة في الأرض الضالة والمطبعة وراء القيادات المضللة المستنكفة عن الخير والحق المعرضة عن دلائل الهدى والإيمان.**

✓ وهي في الوقت ذاته تكشف لنا **صورة من صور الرحمة الإلهية** بهذه البشرية في رعاية الله تعالى لهذا الإنسان والعناية به وتتجلى هذه بإرسال الله تعالى رسوله تترأ عندما تزيغ هذه المجتمعات عن تعاليم الله وحدوده وحماه .

فروح عليه السلام دعا قومه **ألف سنة إلا خمسين** عاماً فهذا العهد الطويل الحافل بالبذل والعطاء والعمل الدائب والتضحية من نبي الله تعالى الذي قدم أعز ما يملك في سبيل نجات قومه وأسدى لهم النصيح ولم يبخل عليهم في يوم من الأيام بالتوجيه والإرشاد ولم يألوا جهداً معهم ، كل هذا الصراع الحافل المليء بالأحداث والعمل المرهق والجهد المضني والصبر الجميل والإصرار الكريم مع قومه نجده قد **سجل تقريراً** عن ما وقع بينه وبين قومه .

إن **سورة نوح** تعتبر درساً من دروس الدعوة وتقريراً قدمه **لله** تعالى عن دعوته وعمله الشاق مع قومه - مع علم الله تعالى بما جرى - وقد طبقت فيه عناصر التقرير الأدبي ببراعة فائقة لم يسمع بها من ذي قبل - فأي عظمة هذه لهذا الكتاب وأي جمال هذا !

يرى أهل الكتابة الفنية والتعبير الإنشائي أن **التقرير الأدبي** يتضمن **أربعة** عناصر أساسية هي :

١. المقدمة
٢. العرض للموضوع
٣. النتيجة
٤. التوصيات والاقتراحات

وكل هذه العناصر ضمتها **سورة نوح** عليه السلام.

وبالنظر إلى **سورة نوح** عليه السلام نجدها تمثل تقريراً تضمن عناصر التقرير المذكورة آنفاً وكأنه قدمه **نوح** عليه السلام لله تعالى عن سير دعوته مع قومه لهذا الكفاح الطويل فأول عناصر وحلقات هذا التقرير هي:

١. المقدمة

وهي التي يقدم فيها الحديث عما يراد تقريره وكتابته والحديث عنه فلا بد من الإبانة والتسمية للموضوع من قبل كاتبه ومقرره عن هذا ، و**سورة نوح** كشفت النقاب عن موضوعها في صدر السورة وأفصحت عنه بافتتاحية استهلها الله بها قوله تعالى

{ إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه.. } { قال يا قوم إني لكم نذير مبين { إن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون {
{ يغفر لكم من ذنوبكم .. }

تلك هي المقدمة لهذا العمل الطويل والجهد المتواصل الذي طارد فيه نوح عليه السلام المعصية والرديلة من قوم وقع منهم انحراف في المعتقد فأول مرة يظهر الشرك في الأرض ويعبد غير الله في أرض الله عندها أرسل الله تعالى أول نبي لأهل الأرض وهو نوح عليه السلام .

هذه المقدمة التي ضمت وحوت جلّ ما جاء من المواقف التي حدثت بين نوح وقومه فقد جاء فيها :

- ✓ الإرسال { أرسلنا }
- ✓ وكذلك الإنذار { أنذر قومك }
- ✓ والتهديد { أن يأتيهم عذاب أليم }
- ✓ والترغيب والتلطف بقوله { يا قوم }
- ✓ والأمر بالعبادة والتقوى والطاعة فيما يبلغ { أن اعبدوا الله .. }
- ✓ كذلك حوت أيضاً ثمرة هذه الطاعة { يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجلٍ مسمى }
- ✓ وكذلك حوت حقيقة وسنة من سنن الله في خلقه وأمرًا ما للإنسان بد منه وهي قوله تعالى :
{ إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون }

٢. العرض والتفصيل للموضوع

وهو العنصر الثاني من عناصر التقرير يحاول فيه الكاتب بسط موضوعه وتفصيله حسب ما عمل ورأى وسمع وشاهد وهذا الاستعراض والبسط والتفصيل استهله نوح عليه السلام بقوله :

{ قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً } { فلم يزداهم دعائي إلا فراراً }
{ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً }
{ ثم إني دعوتهم جهاراً } { ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً } { فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً }
{ يرسل السماء عليكم مدراراً } { ويمدّدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً } { ما لكم لا ترجون لله وقاراً } { وقد خلقكم أطواراً } { ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً } { وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً } { والله أنبتكم من الأرض نباتاً } { ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً }

ومن خلال هذا العرض من نوح عليه السلام تتجلى صور الدعوة التي بذلها لقومه طيلة هذا العهد الطويل وصور الكفاح من أبي البشرية الثاني الذي حاول بشتى الوسائل الدعوية إنقاذ البشرية من حالك الظلام ولكن هي حكمة الله { وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن .. }

إن الداعية على وجه الخصوص والقارئ للقرآن على وجه العموم ليعجب أشد العجب من العمل المتواصل والكفاح الطويل وإسداء النصح والإرشاد ليلاً ونهاراً عشيةً وضحاها سراً وعلانيةً من نبي كان هذا ديدنه وهذا دأبه وسجيته حتى اسمه غلب على حاله.

فقد جرب معهم كافة سبل الدعوة وطرق أنواع التوجيه والإرشاد كل ذلك بغية منه في نفع قومه ومحبتهم ومع ذلك لم يسأم ولم يمل ولم يضعف.

فهذه دروس وعبر تتجلى في سيرة هذا النبي الكريم ، وهذه بالطبع تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة مما يلاقيه من قومه وهي في الوقت ذاته لون من ألوان البيان لقصد التحدي لأرباب اللغة وصنّاع العربية في الجزيرة العربية .

٣. النتيجة

بعد هذا الجهد الشاق الطويل الذي قضاه نبي الله تعالى نوح عليه السلام في سبيل الدعوة إلى الله وهذا الصراع الذي ملء الدنيا سمعاً وبصراً كيف لا وقد جاء في كتاب الله تعالى مسطوراً يقرأه جيل بعد جيل

جاءت نتيجة هذا العناء المتواصل الدؤوب الذي ضرب فيه النبي نوح عليه السلام أروع الأمثلة في الدعوة وبذل جهداً في سبيل نجات قومه وخلصهم من عذاب الله ولكن دون جدوى فالنتيجة هي بقول نوح عليه السلام :
{ قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خساراً }

٤. التوصيات

هي التي يقدمها كاتب التقرير في نهاية عمله والتي يوصي بها من خلالها لتلافي السلبيات والملاحظات لهذا العمل و نوح عليه السلام جاءت توصياته في آخر السورة :
{وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً } { إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً }
ختاماً لهذه التأملات والوقفات البيانية إليكم الخارطة العامة لقصة نوح عليه السلام
من خلال عشر سور في القرآن الكريم.

١ . سورة الأعراف

بداية الدعوة في هذه السورة ، وهو أول لقاء بين نوح وقومه فعرض عليهم الدعوة بعبادة الله تعالى ، وكانت الدعوة محل إنكار منهم واستغراب وتعجب من المجتمع كله.
ولهذا وُصف نوح منهم بأوصاف قبيحة وعلى إثر هذا الوصف وصف الله قومه بالأقبح ، فنجى الله تعالى نوحاً والذين معه في الفلك وخص بالنجاة المؤمنين.

٢ . سورة يونس

صورت لنا السورة مشهداً مغايراً بطريق الإتيان عن سورة الأعراف ، حيث كان الحديث من جانب نوح عليه السلام فحسب ، فقد تحداهم أشد التحدي وأنذرهم ودل على صدق دعوته بأدلة ، وطلب منهم عدم التواني والتأخر في ضره .

وأما قومه فلم يتكلموا بشيء بل كذبوه فنجاه الله تعالى ومن معه من أناس وحيوانات وغيرها في الفلك وأغرق المنذرين ، وجعلهم خلائف عقباً للهاكين .

٣ . سورة هود

وسعت هذه السورة دائرة الدعوة والحوار وانقسم الملاء فيها لقسمين ملاء كافر وملاء آمن بدعوة نوح ولم يجر على لسان الملاء ذكر الإيمان بعد ، أما من ناحية المجتمع فظهر فيه لأول مرة أتباع لنوح عليه السلام وهم قلة ، وكثر الجدل بين نوح عليه السلام وقومه .

نفى نوح عليه السلام طلب الأجر والمال ، كذلك تحدثت السورة عن بناء الفلك وسخرية القوم من نوح ، وفصلت في مجيء العذاب وأيضاً في شفقة نوح لابنه ، ثم طلب نوح نجات ابنه ونهي الله تعالى له عن ذلك ، ثم ذكرت السورة نجات المؤمنين مع نوح في السفينة وهبوطهم بسلام للأرض .

٤ . سورة الأنبياء

هذه السورة تعرضت بصورة سريعة إلى غالبية الأنبياء ونجاتهم من أقوامهم أو استجابة الله لدعائهم ولهذا تسمى سورة الأنبياء فلم يذكر فيها نساء قط ، فذكرت على وجه الاختصار نوح ولوط ويونس وزكريا ويحيى وأيوب وغيرهم.

٥ . سورة المؤمنون

أظهرت السورة جانباً من جوانب القصة لم يذكر في ما مضى ، وهي كلام قوم نوح عن نوح في غيبته وحديثهم عن الدعوة ، كذلك تطور الأمر فيها حيث حاول الملائكة استنهاض واستنفار المجتمع كله ضد نوح لأنهم شعروا بخطورة الدعوة على مصالحهم ومكانتهم .

٦ . سورة الشعراء

قررت السورة أن قوم نوح كذبت الرسل كلهم لأن دعوة الرسل لها مصدر واحد ، وفي هذه القصة دعا نوح قومه للتقوى والطاعة وكررها عليهم ولم يذكر لهم العبادة أبداً.

ثم بينت السورة تطورات وهي أن المؤمنين أصبح لهم وجود وكيان وهذا يدل على كثرتهم ، كذلك لأول مرة يصرح الكفار بقضية الإيمان وتصبح مسألة مطروحة للنقاش والمفاوضة التي لا يمكن تجاهلها بعد أن طال عهد الدعوة. أيضاً في **الشعراء** وضوح بجلاء كثرة الأتباع لنوح ، أيضاً وجد نوح عليه السلام في هذا المقام تهديداً صريحاً من قومه بالرجم في حالة عدم الانتهاء والكف عن الدعوة ، أيضاً لو لاحظنا أن الفلك وصف بالمشحون ، كذلك دعوة نوح لربه بالفتح وهو الحل الأمثل.

٧ . سورة العنكبوت

القصة مختصرة مختزلة غير أنها تحدثت عن أمور لم تذكر في اللقاءات السابقة منها عمر دعوة نوح وهو الزمن الذي أمضاه في الدعوة ، منها ظهور اسم السفينة لأول مرة ، منها ذكر الطوفان مناسبة لذكر زمن الدعوة والسفينة ، منها ظلمهم المستمر حتى مجيء العذاب.

٨ . سورة الصافات

هي ختام لهذا المشوار الطويل الحافل بالأحداث المليء بالمواجهات حيث نادى نوح ربه نداء عظيمة لخطورة الموقف وهذا النداء هو النداء الأخير.
فأجابه الله تعالى /إجابة قوة وعزة (فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ)
وبينت السورة أن ذرية نوح هم الباقون وهم أولاده **الثلاثة** وأما غيرهم من المؤمنين فهلكوا ولم يبق لم عقب.
وفي نهاية هذه السيرة العطرة قال الله تعالى (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ)
أي أبقى الله تعالى لنوح الذكر الحسن والثناء الجميل والعطاء الجزيل.
قال ابن عباس رضي الله عنهما يذكر بخير ، ويكفي أن الله تعالى سلم عليه في الأخير من بين سائر الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى في السورة بقوله :
(سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) وهذا هو الختام

٩ . سورة القمر

هذه القصة بينت استهتار قوم نوح بنوح ، عندها نوح سلم الأمر لله تعالى تسليماً نهائياً فقال :
{ **أني مغلوب فانتصر** } أي أنت يا رب ، فأوكل الأمر لله تعالى بالتدخل والانتصار منهم.
وبينت السورة حالة وقوع العذاب فالأرض صارت عيوناً والسماء لها وضع مخصوص في ذلك الحين .
وأما السفينة فقد صنعت بإتقان وإجادة { **وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ** }
وهذا لم يأت في غيرها من السور .

هذه السورة هي آخر المطاف لقصص نوح عليه السلام في القرآن حيث تمثل التقرير الذي يكتبه الموظف عن سير عمله عندما يوكل له عمل فقد جاءت عناصر التقرير كلها في السورة.

١. المقدمة

وتشمل عنوان التقرير وهذا يمثل دعوة نوح لقومه بالتوحيد
{ إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذابٌ أليم } { قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ }

٢. العرض للموضوع

ويشمل التفصيل الكامل عن الموضوع وهذا يمثل تفصيل نوح عليه السلام لدعوته لقومه حيث سلك نوح شتى طرق الدعوة والنصح والإرشاد لقومه وحاول إقناعهم واستمالتهم محبة لهم لكن دون جدوى { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا }

٣. النتيجة

التي آل لها الأمر وهنا تمثل كفر قوم نوح كفراً نهائياً ليس بعد رجعة
{ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا }

٤. التوصيات للتقرير

وهي تمثل ما يوصي به كاتب التقرير من آراء وملاحظات يظهر هذا في قول نوح عليه السلام
{ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا، إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا }

وأخيراً

يقول أهل الإعجاز العددي في القرآن إن سورة نوح عدد حروفها تسع مئة وخمسون حرفاً بعدد المدة والفترة التي قضاها نوح عليه السلام مع قومه ، والعهدة عليهم.

ختاماً لهذا المطاف وهذه الرحلة البيانية التي تجولنا بها في قصة نوح عليه السلام أسأل الله تعالى العلي العظيم أن يغفر زللنا وعمدنا وأن يجعل ما قدمنا خالصاً لوجهه الكريم . والشكر موصول لمن ساعدني في ترتيب هذه المادة العلمية فأسأل الله تعالى أن يجعله في ميزان حسناته.

كتبه : صالح بن عبدالله التركي

الثلاثاء ٢٧ / ١٠ / ١٤٤٢ هـ

الحمد لله رب العالمين